

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190603

UNIVERSAL
LIBRARY

دليل الطهائم
في
صناعة النثار والناظم

جمعة الفقير اليه تعالى شاكر البتلوني

نظر فيه وضبطه وصحّحه
العلامة اللغويّ الشيخ ابراهيم البازجي

حق طبعه محفوظ

طبع ثانية في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ أَحْيَادَ الْبَلَاغَةِ بِعُقُودِ الْفَصَاحَةِ
وَالْيَبَانِ وَجَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعَانِي وَالْمَعَانِيَ دَلِيلًا
عَلَى الْحُجَّتَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ قَدْ
أَخَذْتُ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرْدُ
الْفَصَاحَةِ تَجَرُّ عَلَى مَتُونِ الْمَهَارِقِ فَضَلَ مُطَرَفِهَا فَعَاصَتْ
أَقْلَامُ الْأَدَبَاءِ عَلَى جَوَاهِرِ اللَّفْظِ تَلْتَقِطُهَا مِنْ خِلَالِ
جَدَاوِلِ الْأَسْفَارِ وَأَسْنَتُ فَرَاحِجِ الْأَلْبَاءِ فِي سَنَنِ
الْمُتَحَدِّي عَلَى آثَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْبُضْهَارِ رَأَيْتُ أَنَّ
أُنْحَفَ الْمُنَادِيَيْنِ وَمَنْ نَظَّمَتْهُمْ حَلَقَاتُ الْمَدَارِسِ فِي هَذَا
الْعَصْرِ بِسِفْرِ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ النَّظْمِ وَالنَثْرِ فَجَمَعْتُ لِذَلِكَ هَذَا
الْكِتَابَ مَا خُوِّدَ عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي
الْفَنَيْنِ جَمِيعًا وَرَبَّنُّهُ أَبْوَابًا وَفُصُولًا تَقَلَّتْ فِيهَا نُصُوصُهُمْ

وَرَصَّعْتُهَا فِي أَثْنَائِهِ تَرْصِيعًا ثُمَّ أَرَدْتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ
أَفْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ الرِّسَالِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ
الْمُرْسَلِينَ وَالْكِتَابِ لِتَكُونَ مِثَالًا يَجْنِذِيهِ السَّالِكُ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَشْنَتُهُ
أَخِيرًا بِفِقْرِ مُتَفَرِّقَةٍ تَقْلَتَهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانِ شَتَّى مِنْ
الْوَصْفِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْكَاتِبُ حَيْثُ اضْطَرُّ إِلَيْهَا
أَوْ يَسْتَظْهِرَ بِهَا عَلَى الذِّكْرِ فَيَهْتَدِيَ إِلَى تَرَائِبِ أُخْرَى
مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَكِنَّا تَسَنَّى لِي جَمْعُهُ وَاتَّسَقَ
وَاتَّظَمَ شَمْلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هَذَا النَّسْقِ وَضَعْنَاهُ بَيْنَ يَدَيِ
حَضْرَةِ الْعَالِمِ الْعَلَّامَةِ وَالْأُسَاذِ اللُّغَوِيِّ الْفَهَامَةِ الشَّيْخِ
إِبْرَاهِيمَ الْبَارِجِيِّ فَسَخَّ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ
قَبْلَ تَمْثِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْعِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي
بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ كِتَابًا وَافِي الْفَوَائِدِ صَافِي
الْمَوَارِدِ يَنْتَعِعُ عَلَى قَلْبِهِ رَشْحُهُ غُلَّةُ الصَّادِي وَيَنْتَعِعُ بِإِذْنِ اللَّهِ
الْبَادِي وَالشَّادِي وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ الْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ
النَّائِرِ وَالنَّاطِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ الطُّلَّابَ
وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِحَاقَةِ الثَّوَابِ بَيْنَهُ وَحَسَنَ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب

الباب الاول

صفحة

- ١ الفصل الاول في شرف العلم
- ٥ الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم
- ١١ الفصل الثالث في اوائل العلم ومداخله
- ١٢ الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم الخ
- ١٥ الفصل الخامس في استعمال العلم
- ١٦ الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الخ

الباب الثاني

- ١٩ الفصل الاول في اركان الكتابة
- ٢١ الفصل الثاني في ادوات الكتابة
- الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وهي قسمان
- ٢٤ القسم الاول في اللفظة المفردة
- ٢٢ القسم الثاني في الكلام
- ٤٠ الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
- ٤٤ الفصل الخامس في السجع
- ٤٨ الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعلمه
- الفصل السابع في النصيحة والبلاغة وفيه قسمان
- ٥٤ القسم الاول في النصيحة
- ٥٨ القسم الثاني في البلاغة
- ٦١ الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات
- ٦٨ الفصل التاسع في التلخيص والاختصار
- ٧٥ الفصل العاشر في الختام

القسم الأول

في أدب الكتّاب وصناعاته
وفيه بآنان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم
وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

إِعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب. وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب. وأنفع ما كسبه وأفتناه الكاسب. لأن شرفه يشهر على صاحبه. وفصله يني على طالبيه. قال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فكنتم. وإن كنتم وسطا سدتم. وإن كنتم سوقة

عِشْتُمْ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَقُومُكَ
 وَيُسَدُّكَ صَغِيرًا. وَيَقْدِمُكَ وَيَسُودُّكَ كَبِيرًا. وَيُصْلِحُ زَيْغَكَ
 وَفَاسِدَكَ. وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ. وَيَقُومُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ.
 وَيُصَحِّحُ هَبْنَكَ وَأَمْلَكَ. وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعْلَمُ
 الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
 مَالٌ كَانَ لَكَ مَلًّا. وَقَالَ بَشِيرُ بْنُ خَالِدٍ لَا يَنْبَغِي عَلَيْكَ
 بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَتُخَذَ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَرْءَ عَدُوٌّ مَا جَهِلَ وَأَنَّهُ
 أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ. وَأَنْشَدَ
 تَفَنَّنَ وَخَذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
 يَفُوقُ أَمْرُوهُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
 فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
 بِهِ وَلِإِلْمٍ أَنْتَ تُنْقِنُهُ سِلْمٌ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ كُلُّ عَزٍّ لَا يُوطِدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ
 عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مُضِلَّةٌ. وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِذَا
 أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمُ وَالْمَلِكَ فِي
 عُلَمَائِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ الْعِلْمُ عُصْمَةُ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ
 يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ. وَيَرْدُّهُمْ إِلَى الْحِلْمِ. وَيَصُدُّهُمْ عَنِ

الْأَذْيَةِ وَيُعْطِيهِمْ عَلَى الرَّعِيَةِ. فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
 وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ
 الْمَالِ. الْعِلْمُ بِحَرْسِكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. الْعِلْمُ حَاكِمُ
 وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ. مَاتَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَانُ
 الْعِلْمِ. أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ. وَأَشْخَاصُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ
 وَرُبَّمَا أَمْنَعَ الْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَأَسْخِيَاءِهِ
 مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ. فَرَضِي بِالْمُجْهَلِ أَنْ
 يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرُهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدَأًا بِهِ. وَهَذَا
 مِنْ خِدَاعِ الْمُجْهَلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً
 فَرَغْبَةُ ذَوِي الْأَسْنَانِ فِيهِ أَوَّلَى وَالْإِبْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ
 وَلَئِنْ يَكُونَ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا
 وَرُبَّمَا أَمْنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِعَذْرِ الْمَادَّةِ وَشَغْلِهِ
 اكْتِسَابَهَا عَنْ التَّيَاسِ الْعِلْمِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِ
 مَعَ أَنَّهُ فَلَمَّا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرِّهِ وَعَيْبِهِ وَشَهْوَةِ
 مُسْتَعِيدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى الْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ
 كُلُّ الزَّمَانِ زَمَانُ اكْتِسَابٍ وَلَا بُدُّ لِلْمُكْتَسِبِ مِنْ أَوْقَاتِ
 اسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامٍ عُطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى الْكُسْبِ حَتَّى

أَمْ يَتْرُكُ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عِبِيدِ الدُّنْيَا وَاسْرَاءِ الْحِرْصِ
 وَرَبِّهَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَبُعْدِ
 غَايَتِهِ وَيَخْشَى مِنْ فَلَهِ ذَهَبِهِ وَبُعْدِ فِطْتِهِ وَهَذَا الظَّنُّ أَعْدَارُ
 ذَوِي النِّقْصِ وَخِيفَةُ أَهْلِ الْعُجْزِ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الْإِخْبَارِ
 جَهْلٌ وَالْخَشْيَةُ قَبْلَ الْإِبْتِلَاءِ عُجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا فَإِلَى خِيْبَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ
 عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَنِيهِ يَا بَنِي تَعَلَّمُوا
 الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَتَّالُوا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَنْ يُدَمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُدَمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ
 وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهَدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاغِبًا. وَلِمَنْ رَغِبَ
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْرِيًا.
 وَلِمَنْ اسْتَكْرَمَتْ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
 اخْتِجَابًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يُسَوِّفُ نَفْسَهُ بِالْمَوَاعِيدِ
 الْكَاذِبَةِ وَيُمْنِيهَا بِإِنْقِطَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
 وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
وَأَنْ يَقْصِدَ طَلِبَ الْعِلْمِ وَاتِّبَاعَ بَنِي سِيرِ اللَّهِ فَاصِدًا وَجَهَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيْمَةٍ صَادِقَةٍ وَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي مَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنِيَّ فِي طَلْبِهِ . وَيَتَهَيَّزَ الْفُرْصَةَ
بِهِ . فَرُبَّمَا شَحَّ الزَّمَانُ بِمَا سَمَحَ . وَضَنَّ بِمَا مَنَعَ . وَيَتَدَبَّرُ مِنْ
الْعِلْمِ بَأْوَالِهِ . وَيَأْتِيهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَتَشَاغَلُ بِطَلْبِ مَا لَا
يَضُرُّهُ جَهْلُهُ . فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ .
فَإِنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ فُضُولًا مُذْهِلَةً . وَشُدُورًا مُشْغِلَةً . إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا
نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَمَّا هُوَ أَهْلُهُ مِنْهَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعِلْمُ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ يَحْصَى فُخْذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ يَتْرَكَ مَا لَا يَعْنِيكَ . تُدْرِكُ مَا يُعْنِيكَ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنَّ
ذَلِكَ مِنْ فُضُولٍ عَلَيْهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ الْأَشْتَغَالِ بِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَطِيَّةُ النَّوْكَى وَعِذْرُ الْمُقْصِرِينَ . وَمَنْ أَخَذَ مِنْ

الْعِلْمُ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَالْفَنَاصِ إِذَا امْتَنَعَ
 عَلَيْهِ الصِّدُّ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى الصِّدَّ
 إِلَّا مُبْتَنِعًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهَلَهُ سَهْلٌ عَلَى
 مَنْ عَلِمَهُ. لِأَنَّ مَعَانِيَهُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مُسْتَوْدَعَةٌ فِي كَلَامٍ
 مُتَرَجِّمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مَسْمُوعًا وَمَعْنَى
 مَفْهُومًا فَالْلَفْظُ كَلَامٌ يُعْمَلُ بِالسَّمْعِ وَالْمَعْنَى تَحْتَ اللَّفْظِ يَفْهَمُ
 بِالْقَلْبِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْجِهٍ: قَلْبٍ مُفَكِّرٍ. وَلِسَانٍ مُعَبِّرٍ. وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ. فَمَنْ عَمِلَ
 الْكَلَامَ يَسْمَعِهِ فَيَفْهَمُ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَيَفْهَمُ الْمَعَانِيَ سَقَطَ عَنْهُ
 كَلْفُهُ اسْتَغْرَاجُهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَاسْتِثْرَارُهَا لِأَنَّ
 الْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِالْإِغْفَالِ. وَالْعُلُومُ وَحْشِيَّةٌ تَنْفِرُ
 بِالْإِرْسَالِ. فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ الْفَهْمِ أُنِسَتْ وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
 الْإِنْسِ رَسَتْ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ أَكْثَرَ الْمَذَاكِرَةَ
 بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 إِذَا لَمْ يُذَكِّرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَ
 فَكَمْ جَامِعٌ لِلْكَتْبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَعَ الْآيَامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى
 وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فِهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ
وَعِلَلِهَا يُوصَلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَدَّ وَصَلَا حِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ بِخُلُو
السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ
فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمَعْنَى
الْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّمْعِ الْمُسْتَخْرِجِ
فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فِهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ
عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِنَقْصِيرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ
نَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فِهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى
وَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمَتَكَلِّمِ وَعَيْهِ
وَإِمَّا مِنْ بِلَادَتِهِ وَقَلَّةِ فِهْمِهِ

الْحَالُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى
فَتَصِيرُ الزِّيَادَةُ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فِهْمِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ
يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمَتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا
لِسَوْءِ ظَنِّهِ بِهِمْ سَامِعِهِ

وَالْحَالُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ لِمَوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمَتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّمْعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَةِ دُونَ
الْعَامَةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ عَامًا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا
تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَصِّرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفِ
مَا يَكُدُّ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ
دَعَاكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحُبِّهِ دَاخَلَكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ
فَهْمِهِ فَأَنْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالْتَقْصِيرِ فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ
لِخَصَرٍ وَالزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهِّلْ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ
مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَلِ مِنْهُ أَكْثَرَ
مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ وَإِنْ كَانَتْ
زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِسُوءِ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمْ السَّامِعِ كَانَ
اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ
فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ الْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ
مَا لَمْ يَقْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطِ
ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبِيهُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ
عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ الْإِسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ
الْقَدَمِ لَهُ فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ

مِنْ فَهَمٍ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ
الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ
بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ
النَّظَرِ فَقَدْ قِيلَ لَا يَدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ وَيَكْدُ
نَفْسَهُ وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدٌّ لَا يَصِيرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ بَرَى الْعِلْمَ
مَغْنَمًا وَالْجَهَالَةَ مَغْرَمًا فَيُخْتَصِلُ تَعَبُ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةُ
الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعَرَّةَ الْجَهْلِ فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ
وَعَلَى قَدَرِ الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَيَحْسَبُ الرَّاحَةُ يَكُونُ
التَّعَبُ وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ وَرُبَّمَا
اسْتَقْبَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا
يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ
مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا وَهَذِهِ حَالٌ
قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مِمَّا الضَّجْرُ مِنْ مُعَانَاةِ
الْحِفْظِ وَمُرَاعَاتِهِ وَطُولُ الْأَمَلِ فِي التَّوْفُرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ
وَفَسَادُ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الضَّجْرَ خَائِبٌ

وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمْلَ مَفْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ.
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنَ الْفِ فِي
كُتُبِكَ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عَلَيَّ مَعِيَ حَيْثُمَا يَمُوتُ يَنْفَعُنِي

قَلْبِي وَعَالَمُهُ لَا بَطْنُ صَدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ

أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرُبَّمَا أَعْنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ

حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِلْأَفَاطِ الْمَعَانِي قِيمًا بَيْنَاوَتِهَا وَهُوَ لَا

يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا . يَرَوِي بَغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَبِخَبَرٍ عَنْ غَيْرِ

خَبَرٍ . وَرُبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ

فِي كُتُبِهِ ثِقَةً بِهَا اسْتَفْرَّ فِي ذَهْنِهِ . وَهَذَا خَطَأٌ يَمِينُهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ

مُعْتَرِضٌ وَالنِّسْبَانِ طَارِقٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ إِنَّ هَذِهِ

الْأَكَابِرُ نَوَافِرُ تَنْدَعَنْ عَقْلَ الْأَذْهَانِ فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا

حُمَاةً . وَالْأَفْلَامَ لَهَا رِعَاةً

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الَّتِي يَتَوَقَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا

كَمَالُ الرَّغْبِ . مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَيَهْدِيهِ مِنَ

الْمَعُونَةُ فَتِسْعَةُ شُرُوطٍ

أَحَدُهَا الْعَقْلُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ * وَالثَّانِي
الْفِطْنَةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ * وَالثَّالِثُ الذِّكَاةُ
الَّذِي يَسْتَقْرِ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ * وَالرَّابِعُ
الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرَعُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ *
وَالْخَامِسُ الْإِكْتِفَاءُ بِمَا دَاةٌ تُغْنِيهِ عَنْ كَلْفِ الطَّلَبِ *
وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوْفَرُّ وَبَحْصُلُ بِهِ
الِاسْتِكْثَارُ * وَالسَّابِعُ عَدَمُ الْقَوَاطِعِ الْمُذْهِلَةِ مِنْ هُمُومٍ
وَأَمْرَاضٍ * وَالثَّامِنُ طَوْلُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ
بِالِاسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ * وَالتَّاسِعُ الظَّفَرُ بِعَالِمٍ
سَخٍ يَعْلَمُهُ مَتَانٌ فِي تَعْلِيمِهِ . فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ
التِّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَأَنْجَحُ مُتَعَلِّمٍ . فَاحْفَظُوا بِاللهِ التَّوْفِيقُ

الفصل الثالث

فِي أَوَائِلِ الْعِلْمِ وَمَدَاخِلِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى أَوَاخِرِهَا وَمَدَاخِلَ
تَنْفُضِي إِلَى حَقَائِقِهَا . فَلْيَبْتَدِئْ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

وَأَخْرِهَا وَبِمَدَاخِلِهَا لِيَنْفِضِي إِلَى خَاصَاتِهَا. وَلَا يَطْلُبُ إِلَّا خَيْرَ قَبْلِ
 الْأَوَّلِ. وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ. فَلَا يَذُرُّكَ أَكْخَرُ وَلَا يَعْرِفُ
 الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى غَيْرِ اسْمٍ لَا يُبْنَى. وَالشَّهْرُ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ
 لَا يُجْنَى

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فِيمَا يَحِبُّ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَفِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
 إِيَّاهُمْ أَنْ تَلْقِينَ الْعُلُومَ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُنِيدًا إِذَا
 كَانَ عَلَى التَّدْرِجِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقِي عَلَيْهِ أَوَّلًا
 مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُقَرِّبُ
 لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاعِي فِي ذَلِكَ قُوَّةَ عَقْلِهِ
 وَأَسْتَعْدَادَهُ لِقَبُولِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ
 ذَلِكَ بِحَصْلِ لَهُ مَلَكَةٍ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ
 وَغَايَتُهَا أَنَّهَا هَيَأَتُهُ لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ
 إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينِ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى
 مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكُرُ
 لَهُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

أَلْفَنَ فَجَعَدُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ رَجِعَ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا
 مِهْمًا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ أَلْفَنٍ وَقَدْ
 اسْتَوْلَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا وَجَهَ التَّعْلِيمِ الْمُنِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ
 إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرَّراتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقْلٍ
 مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ لَهُ وَيَتيسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا
 مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا نَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ
 وَإِفَادَتِهِ وَيُخْضِرُونَ الْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ
 مِنَ الْعِلْمِ وَيَطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهَبِهِ فِي حِلِّهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ
 مَرَانَةً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَكْلِفُونَهُ وَغَى ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ
 وَيَخْطِئُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُقَوِّنونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ أَلْفَنُونَ فِي مَبَادِيهَا
 وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِنَهْجِهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ لِنَهْجِهِ
 تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ أَلْفَنِهِ
 بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ
 وَبِالْأَمْثَالِ الْحِسِّيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا
 قَلِيلًا بِخِزْيَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ أَلْفَنٍ وَتَكَرَّرِهَا عَلَيْهِ وَالِاتِّقَالَ
 فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الْإِسْتِعْيَابِ الَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَتِمَّ الْمَلَكَةُ
 فِي الْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ أَلْفَنِهِ وَإِذَا

الْقِيَمَةُ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائَاتِ وَهُوَ حَيْثُ عَاجَزَ عَنْ
الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدَ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِيهِ عَنْهَا وَحَسِبَ
ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ
قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هَجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أُنِيَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ
وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكْبَرُ
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا
كَانَ أَوْ مُتَنَهِيًا وَلَا يَخْلُطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ
مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَبِحُصْلِ أَغْرَاضِهِ وَيَسْتَوِلِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَةٍ
بِهَا يَنْفِذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَةٌ مَا فِي عِلْمِهِ
مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ
الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوِلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ
وَإِذَا خِلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَتَسَّرَ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوَّلَ عَلَى
الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعِبَاسِ وَتَقْطِيعِ مَا بَيْنَهَا
لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى التَّسْيَانِ وَأَقْطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

الْعِلْمُ وَأَوَّخَرُهُ حَاضِرَةٌ عِنْدَ الْفِكْرَةِ مُجَانِبَةٌ لِلنِّسْيَانِ كَانَتْ
 الْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَرْبَاطًا وَأَقْرَبَ صَبْغَةً لِأَنَّ
 الْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِي
 الْفِعْلُ تُنَوِّسِيَتِ الْمَلَكَةُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَالِمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
 تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْحَمِيدَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي التَّعْلِيمِ
 أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ
 بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ أَلْبَالٍ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا وَيَسْتَصْعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا
 بِأَلْحِيَّةٍ . وَإِذَا انْفَرَّغَ الْفِكْرُ لِتَعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ
 فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِحَصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤَفَّقُ
 لِلْمَصَوِّبِ

(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ . وَثَمَرَةُ
 الْعَمَلِ أَنْ يُوجَرَ عَلَيْهِ . وَقِيلَ مِنْ تِمَامِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهُ . وَمِنْ
 تِمَامِ الْعَمَلِ اسْتِفْلَالُهُ . فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ .

وَمِنْ أَسْتَقْلَ عَمَلُهُ لَمْ يَقْصِرْ عَنْ مُرَادٍ. وَقَالَ أَبُو تَهَامٍ الطَّائِي
وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَا قَاوَلًا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ
رَأَوْا طُرُقَاتٍ لَعَجَزُوا جَوَافِظِيْعَةً وَأَفْطَحَ غَجْرَ عِنْدَهُمْ غَجْرُ حَارِمٍ.
وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ لَمْ يَشْفَعْ يَعْلِيهِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ.
وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ أَيْضًا النَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلَكِنْ
يُخْهِدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطْبًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ إِذْ فُتِيَاسُ وَلَكِنْ
فَقَدَّ الْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَإِيَّاكَ وَالْجَلَّ بِمَا تَعْلَمُ

الفصل السادس

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ التَّجْدِيدَةِ بِهِمْ
أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي
بِهِمُ الْبَقَاءُ وَلَهُمْ الْأَزْمُ فَالتَّوَاضُّعُ وَمُجَانِبَةُ الْعَجَبِ. لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ
عَطُوفٌ وَالْعَجَبُ مَنَفَرٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْعُلَمَاءِ أَفْجٍ لِأَنَّ
النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُمُ الْإِعْجَابُ لِتَوْحْدِهِمْ
بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ
الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضُّعُ بِهِمْ أَوَّلَى وَمُجَانِبَةُ الْعَجَبِ بِهِمْ أُخْرَى
لِأَنَّ الْعَجَبَ تَقْصُّ يَنَانِي الْفَضْلِ وَيَأْكُلُ الْخُشَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

النَّارُ الْمُخْطَبَ فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِمَا لَحِقَهُمْ
 مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَعْلَمُوا الْعِلْمَ
 وَتَعْلَمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعْلَمُونَ وَلْيَتَوَاضِعْ
 لَكُمْ مَنْ تُعْلَمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكُمْ
 بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شَبْرًا
 شَمِعَ بِأَنَفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ وَمَنْ نَالَ الشَّيْبَ الثَّانِي صَغُرَتْ
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنْلَهُ وَأَمَّا الشَّيْبُ الثَّالِثُ فَهِيَ هَاتِ لَا
 يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحِ ذَلِكَ بَيَانًا اسْتِعَاذَةُ الْجَاهِظِ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
 حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكَلُّفِ لِمَا لَا نَحْسِنُ كَمَا
 نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا نَحْسِنُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ
 وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْحَصْرِ * وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيهَا لَا تَعْلَمْ بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمْ
 فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَنَّا أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَقْهَمُ * وَلَقَدْ أَحْسَنَ
 زُرَّارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ عَلَى تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرَّةِ فَعَلَهُ

كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرَّةُ مُخْبِرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ اسْتِقْلَالُكَ لِعِلْمِكَ
وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ اسْتَظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ
أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَجَاوِزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَا أَنْ
يَكُونَ بِهَا مُقْصِرًا فَيُذْعِنَ بِالِاتِّقَادِ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا
مُجَاوِزًا فَيَكْفُفَ عَنِ الْإِزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ النَّاسِ
فِيهَا عِلْمُهُ أَوْ جَهْلُهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ
مِنْهَا . فَقَالَ الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ نَاسٍ فَذَكِّرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي
فَذَلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَارْشِدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ
لَا يَدْرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَارْفُضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمْدِيُّ
إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي

يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كفاية أدب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في أركان الكتابة

إِعلم أنَّ أركانَ الكتابةِ التي لا بدَّ من مراعاتِها في كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذي شأنٍ ثلاثةٌ

الأولُ أن يكونَ مطلعُ الكتابِ عليه حدةٌ ورشاقةٌ فإنَّ الكاتبَ من أجادِ المِطْلَعِ والمِطْطَعِ. أو يكونَ مبنياً على مقصدِ الكتابِ ولهذا بابٌ يُسمَّى بابُ المبادئِ والافتتاحاتِ^(١) فليجذَّ حذوهُ وهذا الركنُ يشتركُ فيه الكاتبُ والشاعرُ

الرُّكنُ الثاني أن يكونَ خروجُ الكاتبِ من معنىٍ إلى معنىٍ بِرِابطةٍ لتكوُنَ رِقَابُ المعانيِ آخذاً بعضها ببعضٍ ولا تكونَ مُقتَضِبةً ولذلك بابٌ مُفردٌ أيضاً يُسمَّى بابُ التخلُّصِ والاختِصَابِ^(٢). وهذا الركنُ أيضاً يشتركُ فيه الكاتبُ والشاعرُ

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع

من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّلَاثُ أَنْ تَكُونَ الْفَاعِلُ الْكَتَابُ غَيْرَ مُخْلَقٍ
بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ. وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْفَاعِلُ غَرِيبَةً
فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْفَاعِلُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
مَسْبُوكَةً سَبْكَاً غَرِيباً يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَهَنَّاكَ مُعْتَرِكُ الْفَصَاحَةِ
الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتِهَا كَمَا
قَالَ الْجُبَّارِيُّ

يَا لِلْفَظِ يَقْرُبُ فِيهِ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَبَعْدُ نَبْلُهُ فِي قُرْبِهِ
وَهَذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْأَشْكَالِ يَحْتَاجُ إِلَى لُطْفِ
ذَوْقٍ وَشَهَامَةٍ خَاطِرٍ وَهُوسِيَّةٍ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا
دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ. فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيُّ إِنْ مُفْرَدَاتِ الْفَاعِلِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ
أَلَمْ لَا لُفَّةٌ وَلَكِنْ سَبْكَهُ وَتَرْكِيْبُهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ. وَإِذَا
سَمَوْتَ أَيْهَا الْكَتَابُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَاسْتَطَعْتَ طَعْمَ
هَذَا الْكَلَامِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ عَلِمْتَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ
فِي بَدْنِكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَيْسَ
كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَسَاءَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنَّ أَيُّهَا
الْناظِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ الْمَعَانِي
بِحَيْثُ يُؤْتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاحَةِ وَلَا
يَكُونُ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُبَايِلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
كَانَ كَصُورَةٍ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ
أَبْلَهٌ . وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
(انتهى عن المثل السائر ببعض تصرف)

الفصل الثاني

في أدوات الكتابة

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمَدُ
عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ
الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
وَالْأَسْمَاءِ مَا يَتَسَّخَّرُ بِهِ مِنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ . وَانْظُرْ فِي
كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْمُخْطَبِ وَمَجَاوِبَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ
وَأَمْثَالِ الْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعُهُودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عِلْمَ النَّحْيِ
وَالْغَرِيبِ وَكُتِبَ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لَتَكُونَ مَاهِرًا تَنْزِعُ
أَيَّ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَخِلَافَ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِينِهَا
وَقَرَضَ الشَّعْرِ الْحَبِيدَ وَعِلْمَ الْعُرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْبَيْتِ الْغَايِرِ الْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ
خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَإِنَّ أَجْلَابَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
الْمُخْلِفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشَّعْرِ
وَالصَّانِعُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي أَهْنِهِ

وَإِذَا اخْتَجْتَ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْكَتَّابِ وَالْمُخْطَبَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ
وَسُوقَتِهِمْ فَمُخَاطَبٌ كُلًّا عَلَى قَدْرِ أَهْنِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ
وَأَرْفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَاتِّبَاهِهِ وَتَخَيُّرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحُهَا لَفْظًا
وَأَجْزَلُهَا وَأَشْرَفُهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمُهَا حَسَبًا وَأَلْيَقُهَا فِي مَكَانِهَا
وَأَشْكَلُهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنَعَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ
قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِبِزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ الْكَلِمَةِ
بِمُعْيَارِهَا إِذَا سَخَّطَتْ فَإِنَّهُ رَبُّهَا مَرَّةً بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعُلْ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى مِنْ فَعَلْتُ .
 فَأَدِرَ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِه فَأَمَّا لَفْظَةُ
 رَأَيْتَهَا لَا تَقَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَنْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْقَةً فِي
 مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَنْتَ الْمَوْضِعَ
 الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
 إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا
 إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّهَا هُوَ كَثَرَفِيعُ الثُّوبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ
 رِفَاعُهُ وَلَمْ تَقَارِبْ أَجْزَآؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْحَيْدَةِ وَتَغَيَّرَ
 حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْحَيْدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ

يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ

كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْلَوَى الْكَلَامُ وَعَذَّبَ وَرَاقَ وَسَهَّلَتْ
 مَخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وَلَوْجًا فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ
 وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا
 بِلَفْظٍ مُؤَنِّقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايَرٍ ابْكَالَامِ عَذَبَ لَمْ يَسِمَهُ التَّكْلِيفُ
 بِمِيسَمِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَآكِهِ

وَقَدَرْنَا أَنَّهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّةَ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجَسَمَانِ الظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْمَجْزُولِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ أَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ
مُتَّسِقًا وَتَضَاعَلِ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاعُلِ
الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ الرَّثِيَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد الفريد)

الفصل الثالث

فِي الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ فِسْهَانُ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي اللَّفْظَةِ الْمَفْرَدَةِ

إِعْلَمُ أَنَّ بَحْنَاجَ صَاحِبِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَأْلِيْفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَشْيَاءَ. الْأَوَّلُ مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ. وَحُكْمُ ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّائِي الْمُبْدَاةِ فَإِنَّهَا تُخْبِرُ وَتُسْقَى قَبْلَ النَّظْمِ. الثَّانِي
نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِنِهَا فِي الْمَشَاكِلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ
قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ إِحْكُمُ الْعِنْدِ الْمَنْظُومِ فِي
أَقْرَانِ كُلِّ لَوْوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِنِهَا الْمَشَاكِلَةِ لَهَا. الثَّلَاثُ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمِ
 ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعِنْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً
 يُجْعَلُ إِكْلِيلًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ فِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً
 يُجْعَلُ شَنْفًا فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ
 مِنَ الْحُسْنِ مُخَصَّةٌ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمَعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْيِيفِ الْكَلَامِ
 مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ. فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 هُمَا الْمُرَادُ بِالْإِنصَاحَةِ وَالْثَلَاثَةُ يُجْمَلُ لَهَا هِيَ الْمُرَادُ بِالْبَلَاغَةِ.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوِّغِ
 الْكَلَامِ مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ فَكَيْفَ الْجَهَالُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمْ
 رَاحَتُهُ. وَمَنْ الَّذِي يُؤْنِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيُّ
 وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنْ
 الْأَلْفَاظِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ
 خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تُصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ
 أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَعَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ
 فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ

أَلَا لَفَاطٍ بِالْحُسْنِ وَبَعْضُهَا بِالْقُبْحِ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِي هَذَا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ^(١) وَفِي الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غَنًى عَنْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا تَفْصِيلًا لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَّرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ أَلَا لَفَاطٌ دَاخِلَةٌ فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ لَا نَهَا مُرَكَّبَةً مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحُسْنُ وَمَا كَرِهَهُ وَبَا عَنْهُ فَهُوَ الْقُبْحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ نِلْكَ الْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ الَّتِي أوردَهَا عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَدَيْنَا فِي السَّمْعِ كَارًا حَسَنًا وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ نِلْكَ الْخَصَائِصُ وَالْهَيْئَاتُ فِي ضَمْنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ الْأَلْفَاظِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْفُضْنِ وَلَفْظَةِ الْعُسُوجِ وَيَبْنِي لَفْظَةً

الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةُ الْإِسْفِنْطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ السِّيفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْسَلِيلِ
وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدْوْكِسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ
بِخُطَابٍ وَلَا بِجَوَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهَا.
فَمِنْهَا أَنْ لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَخَشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَمَثِّلِينَ إِلَى صِنَاعَةِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُوهُ الْمُسْتَفْجِ
مِنَ الْأَلْفَاظِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ فَيُسَمَّى أَحَدُهُمَا
غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى
اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقِفَارَ وَلَيْسَ بِأَنْيَسٍ وَكَذَلِكَ
الْأَلْفَاظُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةً لِأَسْتَعْمَالٍ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ
الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْجًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلُ الْإِنْسَ
فَتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنْ أَحَدُ قِسْمِي
الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يُخْتَلَفُ بِأَخْتِلَافِ النِّسْبِ
وَالْإِصَافَاتِ وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِفْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بِأَدٍ وَلَا
قُرَوِيٌّ مُخَضَّرٌ. وَأَحْسَنُ الْأَلْفَاظِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا إِلَّا لِمَكَانٍ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ^(١). فَإِنَّ أَرْبَابَ الْخَطَابَةِ وَالشِّعْرِ
 نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاظِ وَتَقَبُّوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا
 فَاسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَنْفَاوْتُ فِي دَرَجَاتٍ
 حُسْنِهِ فَالْأَلْفَاظُ إِذَنْ تَقْسِمُ ثَلَاثَةً أَفْسَامٍ فِسْمَانِ حَسَنَانِ
 وَقِسْمٍ تَقْسِيمٍ. فَالْفِسْمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ
 الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ
 عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ. وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ
 الْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهَذَا
 هُوَ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
 وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ
 كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ الْقُرْآنِ.
 وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ
 عَلَيْهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقُ وَهْمُكَ أَيُّهَا التَّمَامِلُ إِلَى قَوْلِ الْفَائِلِ الَّذِي
 غَلَبَ عَلَيْهِ غِلْظُ الطَّبَعِ وَفَجَاجَةُ الذِّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ
 تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي نَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي نَسْتَقْبِهُ هُوَ الَّذِي
كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَقْبَجًا. وَالْإِسْتِعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ
فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا
نَسْتَعْمِلُهُ لِضَرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحُسْنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ. وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنْ الْكُلْفَةِ فِي
صَوِّغِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ الْأَمْنَ يَكَايِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ الْأَمْنَ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِقْبَاحَهَا لَا
يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصٌ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدَتْ
عِلْمٌ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ
النِّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا الَّذِي تَقِلَّدُ الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَالْأَخْذُ

بِأَقْوَالِهَا فِي الْأَوْضَاعِ النَّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ
وَمَا عَدَاهُ فَلَا وَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ وَفُجْهَاتُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصَفَ ذَوَوِي لَا
يَتَغَيَّرُ بِالْإِضَافَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْزَنَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ
النَّاسِ كَافَّةً مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي
حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَافَّةً
مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ
إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِذْنٌ إِلَى اسْتِعْمَالِهِمْ
إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيُعْلَظُ لَهُ النَّكِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا
فَلَا تَظُنَّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
وَيَقْتُلُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّهَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقُولُ
اسْتَعْمَلْهُ فِتَارَةٌ يَخْفُ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةٌ يَقُولُ
عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيَّانٍ أَحَدُهَا
أَنَّهُ غَرِيبٌ لَا اسْتِعْمَالَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ
عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
فَظَاطْنِهِ وَغِلَاطْنِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

أَيْضًا الْمُتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَأَاهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ
 إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا
 الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَافِ. قُلْتُ قَدْ
 ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ.
 وَسَاءَ ضَرْبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فَبَيْنَهُ مَا وَرَدَ لَنَا بَطْ شَرًّا فِي
 كِتَابِ الْحِمَاسَةِ

يَظَلُّ بِمَوَاقِفٍ وَيُبْهِي بِغَيْرِهَا

جَحِيشًا وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلَّهِ
 الْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِعَةٌ وَلَوْ
 وَضِعَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَهَا اخْتِلَافٌ شَيْءٌ مِنْ وَزْنِهِ.
 فَتَأْ بَطْ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
 اسْتَعْمَلَ الْقُبْحَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَدْحُودَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ
 فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَفْجُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَهَامٍ قَوْلُهُ
 قَدْ قُلْتُ لَهَا أَطْلَحِمُ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثَ

عَشَوَاءَ نَالِيَةٍ غُبَسَا دَهَارِيسَا

فَلَفْظَةُ أَطْلَحِمُ مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوُصْفَيْنِ

الْقَبِيحِينَ فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِهَةٌ عَلَى
الذَّوقِ . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ
مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جَمَلَتِهَا

نَعِمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جِدْرٌ وَلَا حِيسُ
فَلَفْظَةُ جِدْرٍ غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَبِّئِ
جَنَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْتَفُونَ بِهَا بِهِمْ

شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَ دَلِيلُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَنَحَ مَرَّةً الطَّعْمُ . وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَرُ
مِنْهَا وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَأَسْتِعْمَالِ تَابَّطَ شَرًّا لَفْظَةُ
جَحِيشَ . فَإِنَّ تَابَّطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِ
تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ
فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ جَنَحَتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ
وَالْجَنَحُ الْفَخْرُ يُقَالُ جَنَحَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عِوَضًا
عَنْ جَنَحَتْ فَخَرَتْ لَا سَنْتَامَ وَزُنُ الْبَيْتِ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ عَلَى مِثْلِ هُوَ لَا
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَالْعَرَبُ إِذَنْ
لَا تُنَلِّمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا
تُنَلِّمُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ. وَأَمَّا الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُلَامُ عَلَى
اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي
الْآخَرِ

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْكَلَامِ

فَدَرَأْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدْعَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الَّذِي يَعْزُّ فِهُمُ وَيَسْعُدُ مَنَّاوَلُهُ وَإِذَا رَأَوْا
كَلَامًا وَحْشِيًا غَامِضَ الْأَلْفَاظِ يُعْجِبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِالْفَصَاحَةِ
وَهُوَ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ
لَا الْغُمُوضُ وَالْخَفَاءُ. وَسَأُبَيِّنُ لَكَ مَا تَعَبَّدُ عَلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ فَأَقُولُ الْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى جَزَلَةٍ
وَرَفِيقَةٍ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَأَلْجِزُ
مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْمُحْرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ
الْتِهَادِ وَالتَّخْوِيفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الرَّفِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ وَذِكْرِ أَيَّامِ الْعِبَادِ وَفِي اسْتِجْلَابِ
 الْمَوَدَّاتِ وَمُلَايَنَاتِ الْإِسْتِعْطَافِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ . وَلَسْتُ
 أَعْنِي بِأَنْجَزٍ مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًا مَتَوَعِّرًا عَلَيْهِ
 عُجْهِةُ الْبِدَاوَةِ بَلْ أَعْنِي بِأَنْجَزٍ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عُدُوْبِهِ
 فِي الْفَلَمِ وَلَذَلِكَ فِي السَّمْعِ . وَكَذَلِكَ لَسْتُ أَعْنِي بِالرَّقِيقِ
 أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّمَا هُوَ اللَّطِيفُ الرَّقِيقُ الْحَاشِيَةُ
 النَّاعِمُ الْمَلْبَسِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

نَاعِمَاتِ الْأَطْرَافِ لَوَإِنَّمَا تَأْتِي بِسُ أَعْنَتْ عَنِ الْمَلَاءِ الرِّفَاقِ
 وَسَا ضَرِبُ لَكَ مِثَالًا لِلْجَزْلِ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالرَّقِيقِ فَأَقُولُ
 أَنْظِرْ إِلَى قَوَارِعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ
 وَالْبِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمُفَارَقَةِ الدُّنْيَا وَمَا
 جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَحْشِيًا
 الْأَلْفَافِ وَلَا مَتَوَعِّرًا . ثُمَّ أَنْظِرْ إِلَى ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ
 وَالْمَغْفِرَةِ وَالْمُلَاطَفَاتِ فِي خِطَابِ الْأَنْبِيَاءِ وَخِطَابِ
 الْمُنِيبِينَ وَالنَّائِبِينَ مِنَ الْعِبَادِ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ
 لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفَ الْأَلْفَافِ وَلَا سَفْسَافًا . فَمِثَالُ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنْجَزُ مِنَ الْأَلْفَافِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَحِيتِ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَتَمَتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ.
فِيلَ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
لِلْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ تَتَّبِعُوا مِن الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ. فَنَامِلٌ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُصَنَّعَةِ ذِكْرُ الْحَشْرِ عَلَى
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ وَانْظُرْ هَلْ فِيهَا لَفْظَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْدَّةٌ عَلَى مَا بَيَّاهَا مِنَ الْجَزَالَةِ. وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَمَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَاءُ تَقْدَتْطَعُ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا نِالُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَخَاطَبَةِ النَّبِيِّ وَالضَّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَى سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كَلَامِ هَذَيْنِ الْمُحَاكِمِينَ مِنَ الْمُجْزَلَةِ وَالرَّفَقَةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ قَبِيصَةَ بْنِ نَعِيمٍ لَمَّا قَدِمَ
عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْبَاحِ ابْنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْعَلَلِ وَالْقَدَرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ وَتَسْتَقِلُّ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تُحْتَاجُ إِلَى تَذَكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُودِدِ مَنْصِيكَ وَشَرَفِ أَعْرَافِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مُحَمَّدٌ بِجَنَابِ مَا حِيلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ الْعَثَرَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تَجَاوِزِ الْهَمَمِ إِلَى غَايَةِ الْارْجَعَتْ إِلَيْكَ فَوَجَدَتْ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ النَّهْمِ وَكَرَمِ الصَّغْمِ مَا
يَطُولُ رَغْبَاتِهَا وَيَسْتَغْرِقُ طَلِبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ
الْمُخْطَبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رِزْيَتُهُ نِزَارًا وَالْيَمَنَ وَلَمْ
تُخْصَصْ بِذَلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحَجْرِ
وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِأَلَانُفْسٍ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلْتَ أَكَارِمُنَا
بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أَخْرَاهُ عَلَى أَوْلَاهُ
وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحْمَدُ أَلْحَالَاتٍ فِي ذَلِكَ أَنْ نَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا فَتَقُودَهُ
إِلَيْكَ يَنْسِعُهُ تَذَهُبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِيَاقِبِ قَصْرَتِهِ
فَتَقُولُ رَجُلٌ أَمْنَحْنُ بِهَالِكٍ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِمُكْتَبِهِ
مِنَ الْإِنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءٌ بِهَا بِرُوحٍ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعِيمِهَا
فَمِنْ أُلُوفٍ تُجَاوِزُ الْخُمْسَةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ
الْقَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ أَلْحَوَائِلُ
فَتُسَدِّلُ الْأَذْرُ وَتُعْقِدَ الْخُمْرُ فَوْقَ الرَّيَاطِ قَالَ فَبِكِي سَاعَةً
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفُوَ لِحَجْرِ فِي
دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أَعْنَاضَ جَمَلًا وَلَا نَافَةَ فَأَكْتَسَبَ بِهِ سُبَّةَ الْأَبَدِ

وَقَتَّ الْعَصْدُ وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ
أُمَهَاتِهَا وَلَكِنْ أَكُونُ لِعَظِيمِهَا سَبَبًا وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةٍ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عِلْقًا
إِذَا جَالَتْ التَّحْمِيلُ فِي مَازِي

نُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النُّفُوسَا
أُنْقِيَهُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْيَارِ
وَأَبْلَى الْأَجْتِرَارِ بِمَكْرِهِ وَأَذِيَّةِ وَحَرْبِ وَبَلِيَّةِ. ثُمَّ نَهَضُوا
عَنْهُ وَقَيْصَةُ تَمَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ إِنْ عَدَتْ
كُنَائِبُنَا فِي مَازِي الْحَرْبِ تَمْطُرُ

فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ أَسْتَعِذُّهُ فَرَوَيْدًا يَنْفِرُجُ
لَكَ دُجَاهًا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةٍ وَكُنَائِبِ حَمِيرٍ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ
غَيْرِ هَذَا بَيِّنًا وَلَى إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجَبْتَ
فَلْتَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ قَيْصَةَ وَأَمْرِي الْقَيْسِ
حَتَّى يَدْعَ الْمُنْعَمِيُّونَ تَعْمَهُمْ فِي أَسْتِعْمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنَ
الْأَلْفَاطِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ قَبْلَ
الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ

وَاِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شَيْخَةً
أَوْ قَيْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ
سَكَنُوا الْحَضَرَ وَوَجَدُوا رِقَّةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطُونَ وَحَشِيَّ الْأَلْفَاظِ
وَشَظْفَ الْعِبَارَاتِ وَمَا يُجْلِدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا إِمَامًا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ
الْفَصَاحَةِ وَإِمَامًا عَاجِزٌ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ
مِمَّنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُبَكِّكُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ
مِنَ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْتَفِطُهُ مِنْ كُنْبِ اللُّغَةِ أَوْ يَتَلَفَّفُهُ
مِنْ أَرْبَابِهَا وَأَمَّا الْفَصِيحُ الْمُنْتَصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاحَةِ فَإِنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عِلِمَ أَتَى يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيْفِهِ
وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مُهَارًا فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ
الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ .
هَذَا أَتَى دُرَيْدٌ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا
نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْحَيِّدِينَ
مُخْطَاطًا مَعَ أَنَّ أَوَّلِكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ
عُشْرَ مِثْقَالِ مَا عَلَيْهِ هَذَا الْعَبَّاسُ ابْنُ الْأَخْفَرِ قَدْ كَانَ
مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْحَيِّدِينَ وَشِعْرُهُ كَمِثْرِ نَسِيمٍ عَلَى
عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكُلُوكُلَاتٍ طَلَّ عَلَى طَرَرٍ رِيحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ بِجُنَاحٍ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ
(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل الرابع

في انقسام الكلام إلى فتي النظم والنثر

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فَنِ الشِّعْرِ
الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمَقْفِيُّ وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ
أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ. وَفَنِ النَّثْرِ وَهُوَ
الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى
فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي الْكَلَامِ. فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ
وَالرِّثَاءُ. وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ
فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ
وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ
يُرْسَلُ إِزْمَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا. وَيُسْتَعْمَلُ
فِي الْمُخَاطَبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ. وَأَمَّا
الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَشْهُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ
الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ

آيَاتٍ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِأَنْتَهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا
 ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّأُ مِنْ غَيْرِ
 التَّزَامِ حَرْفٍ يَكُونُ سَجْعًا أَوْ قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ
 نَزَلَ أَحْسَنَ الْمُحَدِّثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ. وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ. وَيُسَمَّى آخِرُ
 الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاصِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزِيمُ فِيهَا مَا
 يُتَزَمُّ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ. وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى
 آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصْتُ بِأَمْرِ
 الْقُرْآنِ لِلْعَلَبَةِ فِيهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي.
 وَانْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَتِهَا بِالْمَثَانِي
 يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْفُنُونِ أَسَالِيبَ تَخْصُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ
 الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْخُصَصِ بِالشَّعْرِ
 وَالْحَمْدِ وَالِدُعَاءِ الْخُصَصِ بِالْخُطْبِ وَالِدُعَاءِ الْخُصَصِ
 بِالْمُخَاطَبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَسْجَاعِ
 وَالتَّزَامِ التَّقْنِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ

هَذَا الْمَشُورُ إِذَا تَمَلَّنَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَنْتَرِفًا إِلَّا
فِي الْوَزْنِ. وَاسْتَمَرَ الْمَتَاخِرُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا
الِاسْتِعْمَالَ فِي الْمَشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي ارْتَضَوْهُ
وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ
عِنْدَ الْكِتَابِ الْفُغْلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا
إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي
تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَابِ
وَالْخُطَابِ. وَهَذَا الْفَنُّ الْمَشُورُ الْمَقْفِيُّ أَدْخَلَ الْمَتَاخِرُونَ
فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تَنْزَعُ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
عَنْهُ إِذَا سَالِبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ
وَالْإِطْنَابِ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ
وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ
وَالْعُمُودِ فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسَلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ
الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ
وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلِكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ

الْكَلَامَ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ
 مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ بَخْصُهُ مِنْ إِنْطَابٍ أَوْ إِنْجَازٍ أَوْ
 حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ
 وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي هُوَ
 عَلَى أَسَالِيبِ الشَّعْرِ فَمَذْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ
 إِلَّا أَسْنِيْلَاءَ الْعُجْبَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ
 إعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَعَجَزُوا عَنْ
 الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لُبَعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطْوَتِهِ
 وَلَوْلَوْ بِهَذَا السَّجْعِ يُلْفِقُونَ بِهِ مَا تَقَصَّصَهُ مِنْ تَطْيِيقِ الْكَلَامِ
 عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَبَجَرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ
 مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْنَلُونَ عَمَّا
 سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
 أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى
 إِنَّهُمْ لَيُحْلُونَ بِالْأَعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
 لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيَرْجَحُونَ ذَلِكَ
 الصِّفَافَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْأَعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بَنِيَّةَ
 الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ فَيَأْمَلُ ذَلِكَ بِمَا قَدَمْنَاهُ

لَكَ تَنْفَعُ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ
بِهِنَّ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في السجع

إِعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْسَمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَقَوْلِهِ
تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ
صُبْحًا فَأَنْزَلَ بِهِ تَقَعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَنَعًا. لَا تَرَى كَيْفَ
جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ حَتَّى كَانَتْهَا أَفْرَعَتْ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ
وَهُوَ أَشْرَفُ السَّجْعِ مَنَزَلَةً لِلْإِعْدَالِ الَّذِي فِيهِ

النِّسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ
الْأَوَّلِ لَا طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ
يَقْعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُ عَيْبًا. فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا.
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. أَلَا
تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ الثَّانِي
وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ. وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ
عَلَى ثَلَاثٍ فَقَرِّ فَإِنَّ الْقُفْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ
تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةً. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي السَّجَعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ
وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ النُّجُوزَ يَعُمُّ الْمُجَانِبِينَ مِنْ
التَّسَاوِي فِي السَّجَعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ.
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجَعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ الْبَيْتِ مَا أَصْحَابُ الْبَيْتِ
فِي سِدْرِ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٌ مَنُضُودٍ. وَظِلٌّ مَدُودٍ. فَهَذِهِ السَّجَعَاتُ
كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتِ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خَمْسَ
لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَهَا كَانَ ذَلِكَ مَعْيِيًا
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنْ

الْأَوَّلُ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحْشُوا سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّجْعَ
يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ
يَجِيئُ الْفَصْلُ الثَّانِي قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمَشْهُورِ
فَيَقْنِي الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَعْتَرِدُ دُونَهَا

وَإِذَا أَنْتَهَيْنَا إِلَى ههنا وَبَيْنَا أَفْسَامَ السَّجْعِ وَلَبَهُ وَقُشُورَهُ
فَسَتَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كَلِمًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَفْسَامِهِ
ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى السَّجْعُ الْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَاطِ قَلِيلَةٍ وَكَلِمًا قَلَّتِ
الْأَلْفَاطُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ
السَّامِعِ وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مَتَنَاوَلًا
وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا وَالضَّرْبُ الْآخَرُ يُسَمَّى
السَّجْعَ الطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مَتَنَاوَلًا وَإِنَّمَا
كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرَ مَسْلَكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى
إِذَا صَبَغَ بِالْفَاطِ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَانَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِضَرِّ تِلْكَ
الْأَلْفَاطِ وَضَيْقِ الْجَبَالِ فِي اسْتِجْلَالِهِ وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ
الْأَلْفَاطَ تَطُولُ فِيهِ وَتُسْجَلِبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يَقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ
تَنَفَّوَتْ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ
مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَيْنِ لَفْظَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُرْسَلَاتِ
عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ
فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ الْأَفْظِ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ
الْعَشْرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَبِمَا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ
النَّجْمُ وَإِنْ يَدْرَأَ آيَةً يَعْزِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ. وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَعْتَبٌ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ
دَرَجَاتِهِ تَنَفَّوَتْ فِي الطَّوِيلِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ
الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُهُ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ إِلَى أَتْنَعِي
عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَئِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْسَّيِّئَاتِ
عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا. فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. وَمِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ
 مَا يَكُونُ تَأْلِيْفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى
 إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ فَلْيَلَا وَكَوْ أَرَاكُمُ كَثِيرًا فَفُتِلْتُمْ
 وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. وَمِنَ
 السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ
 غَيْرُ مَضْبُوطٍ

(عن المثل السائر)

الفصل السادس

فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلِيهِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِعَمَلِ الشَّعْرِ وَاحْتِكَامَ صِنَاعِهِ شُرُوطًا أَوَّلَهَا
 الْحِفْظُ مِنْ جِنْسِهِ أَيْ مِنْ جِنْسِ شَعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي
 النَّفْسِ مَلَكَةٌ يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا وَتُغَيِّرُ الْحِفْظَ مِنَ الْحَرِّ

النَّفْيِ الْكَثِيرِ الْأَسَالِبِ . وَهَذَا الْمُحْفُوظُ الْمُخْتَارُ أَقْلُ مَا
 يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْقَوْلِ الْأَسْلَامِيِّينَ مِثْلِ ابْنِ أَبِي
 رَبِيعَةَ وَكُثَيْرٍ وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبٍ
 وَابْنِ جُرَيْجٍ وَالرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
 الْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْمُخْتَارُ
 مِنْ شِعْرِ أَجَاهِلِيَّةٍ . وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْمُحْفُوظِ فَتَنَّهُ قَاصِرٌ
 رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّونَقُ وَالْمَحَلَاوَةُ إِلَّا كَثَرَةُ الْمُحْفُوظِ .
 فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عَدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
 سَاقِطٌ وَاجْتِنَابُ الشِّعْرِ أَوَّلَى مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْفُوظٌ . ثُمَّ بَعْدَ
 الْأَمِيلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَشَمَذِ الْقَرِيجَةِ لِلنَّسَجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يُقْبَلُ
 عَلَى النَّظْمِ وَيَبْالُغُ الْكَثَارَ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْسُخُ . وَرُبَّمَا
 يُنَالُ إِنْ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْمُحْفُوظِ لِتُعْنَى رُسُومُهُ
 الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
 وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَقَشَ الْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مِثْوَالٌ
 يَأْخُذُ فِي النَّسَجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ .
 ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْخُلُوعِ وَاسْتِحْجَادِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
 الْمِيَاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا الْمَسْبُوعِ لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيجَةِ بِاسْتِحْجَاعِهَا

وَتَشْيِطُهَا بِمَلَاذِ السُّرُورِ ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرَطُهُ أَنْ يَكُونَ
عَلَى جِهَامٍ وَنَشَاطٍ فَذَلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْفَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِي
بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنَوَالِ الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ
لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبَكْرِ عِنْدَ الْهُبُوبِ مِنَ النَّوْمِ وَفَرَاغِ الْمَعِدَةِ
وَنَشَاطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجِهَامُ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنَّ مِنْ
بَوَائِغِهِ الْعَشَقُ وَالْإِنْتِشَاءُ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ
الْعُمَدَةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَتْ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَإِعْطَاءُ
حَتَمِهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ
اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى وَفْتٍ آخَرَ وَلَا
يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَلَيْكُنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ
صَوْعِهِ وَنَسْجِهِ يَضَعُهَا وَيَبْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ
إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعِبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي
مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَحْيِي نَافِرَةٌ فَلَقَنَةً وَإِذَا سَمِعَ الْخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ
يُنَاسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْيَقِ بِهِ فَإِنْ كُلُّ
بَيْتٍ مُسْتَقِيلٌ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا
يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخُلَاصِ مِنْهُ بِاتِّفَاعٍ وَالْقَدِّ وَلَا
يَضُنَّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَقْتُونُ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَاخْتِرَاعُ فَرَجِهِ وَلَا
يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَالتَّخَالِصَ
مِنَ الضَّرُورَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ
طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ . وَقَدْ حَظَرَ أَئِمَّةُ اللِّسَانِ عَلَى الْمَوْلِدِ أَنْ تَكُتَابَ
الضَّرُورَةُ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ . وَيجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ
جَهْدُهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى
الْفَهْمِ . وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنْ فِيهَا نَوْعٌ
تَعْقِيدٌ عَلَى الْفَهْمِ . وَإِنَّمَا الْخُتَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْفَاطَةُ
طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَتْ حَشْوًا
وَأَسْتَعْمِلَ الذَّهْنَ بِالْفَوْضِ عَلَيْهَا فَمَنْعَ الذَّوْقَ عَنْ اسْتِيفَاءِ
مُدْرِكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ . وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى الذَّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ
اللَّهُ يُعَيِّنُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَفَاجَةَ شَاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ
لِكَثَرَةِ مَعَانِيهِ وَأَزْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يُعَيِّنُونَ
شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ التَّسَجُّعِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنظُومًا نَازِلًا عَن طَبَقَةِ الشَّعْرِ
 وَالتَّحَاكِيمِ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَلَيُجَنَّبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحُوشِيَّ
 مِنَ الْأَلْفَاطِ وَالْمَقْصَرِّ وَكَذَلِكَ السُّوْقِي الْمُبْتَدِلُ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
 بِالْكَلَامِ عَن طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَبَصِيرُ مُبْتَدِلًا وَيَقْرُبُ مِنْ
 عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِقَدَارِ
 مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَن رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ
 هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ
 قَلِيلَ الْأَجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَمْحُذُهُ إِلَّا الْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا
 مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةٌ لِذَلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ
 الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيبَةَ مِثْلُ
 الصَّرْعِ يَدِرُّ بِالْأَمْتِرَاءِ وَيَجِفُّ بِالتَّرْكِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ
 الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوًى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيْقٍ
 وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبَغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ
 نَبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمَعِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْجُبُرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ
 الشَّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى
 تَسْهِيلِ مَا خِذَهُ وَوُجُوهِ أَفْتِصَايِهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ
 وَأَنْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَأَتَكَلَّمْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا
 قَالَ لِي يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرَ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهُمُومِ صِفَرُ
 مِنَ الْغُمُومِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ
 الْإِنْسَانُ لِنِائِلِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ
 النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ
 وَإِنْ أُرِدْتَ النَّشِيبَ فَأَجْعَلِ اللَّفْظَ رَفِيقًا وَالْمَعْنَى رَشِيقًا
 وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ وَتَوَجَّعِ الْكَابَةِ وَقَلِّ الْأَشْوَاقِ
 وَكَوْنِ الْفِرَاقِ فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِجِ سَيِّدِ ذِي أَيَّادٍ فَأَشْهَرِ
 مَنَاقِبَهُ وَأَظْهِرْ مَنَاسِبَهُ وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ وَشَرَفِ مَقَامِهِ وَنَضِدِ
 الْمَعَالِي وَأَحْذِرِ الْعُجُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِبَّ شِعْرَكَ
 بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خَيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى
 مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَأَرِخْ نَفْسَكَ وَلَا
 تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

الشَّعْرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمَ الْمَعِينِ .
وَجُمْلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ الْمَاضِينَ
فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ فَأَقْصِدْهُ وَمَا تَرَكَوهُ فَأَجْنِبْهُ تَرْشُدُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى
الْسيَّاسَةِ

(من كتاب زهر الآداب)

الفصل السابع

في النِّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفِيهِ قِسْمَانِ

القسم الأول

في النِّصَاحَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمَنْ سَلَكَ مُتَوَعِّزٌ عَلَى
النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ
الْقَوْلَ فِيهِ وَالتَّجَتَّ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعُولُ عَلَيْهِ إِلَّا
الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ النِّصَاحَةَ هِيَ
الظُّهُورُ وَالْيَبَانُ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يُقَالُ أَفْصَحَ

الصَّحُّ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقْنُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ
 السِّرِّ فِيهِ. وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تُبَيِّنُ حَقِيقَةُ الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ
 يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتِرَاضَاتِ. أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ
 يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيِّنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
 صَارَ فَصِيحًا. الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ
 الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى
 الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا زَيْدًا وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا
 لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا. وَلَيْسَ
 كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ
 بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ الْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ
 مَا هِيَ لَمْ يَتَّقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. الْوَجْهُ
 الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا جِيَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَنْبُو عَنْهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
 ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ
 وَصَفُ حُسْنِ اللَّفْظِ لَا وَصَفُ قُبْحٍ. فَهَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ
 وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
 مِنْ غَيْرِ تَنْصِيلٍ. وَلَكَمَا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا

أَلْبَابِ مَلَكَتْنِي الْخَبِيرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوِّلُ
 عَلَيْهِ وَلِكثْرَةِ مَلَاسَتِي هَذَا الْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِي
 السِّرُّ فِيهِ وَسَاءُ وَضِعُهُ فِي كِتَابِي هَذَا وَأُحَقِّقُ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ
 إِنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ
 أَنْ تَكُونَ الْفَاطَةُ مَفْهُومَةً لَا يَجُنَاجُ فِي فِهْمِهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ
 مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةً
 الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ
 وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةً الْإِسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ
 غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاطِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ غَزَبُوا اللُّغَةَ بِأَعْيَارِ الْفَاطِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا
 فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاطِ فَاسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا الْفَاسِخَ مِنْهَا
 فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنَ الْإِسْتِعْمَالُ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا
 وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا. فَأَلْفَصِحُ إِذْنًا مِنَ الْأَلْفَاطِ
 هُوَ الْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيْ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 اتَّحَسَّنَ مِنَ الْأَلْفَاطِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا اتَّحَسَّنَ مِنْهَا حَتَّى
 نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ

الْحَسُوسَةِ الَّتِي شَاهِدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي
 حَيْزِ الْأَصْوَاتِ فَأَلْذِي يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَهْبِلُ إِلَيْهِ هُوَ
 الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
 السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبُلْبُلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
 وَيَهْبِلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ
 يَكْرَهُ نَهْيُ الْخِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهْلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ
 جَارِيَةٌ هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْئَةِ
 وَالذِّيمَةَ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَايِ قَبِيحَةٌ
 يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْهَطْرِ وَهِيَ
 تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمَرْئَةِ
 وَالذِّيمَةَ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَا لَوْفَتِي الْأَسْتَعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
 الْبُعَايِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ وَإِنْ أَسْتَعْمِلَ
 فَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوْقُهُ غَيْرُ
 ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنَ النِّجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ
 فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجَبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
 يُعْرِجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ
 الْمَاورِثِيُّ لَيْسَ بِصَحِّ اخْتِيارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ
 بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا
 مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍ الْمَعْنَى
 لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَبَسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لَلْفَاطِهَا غَايَةٌ
 وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي الْفَاطِ
 فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةً أَلْفَاطٍ مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي هِيَ الْبَلَاغَةُ
 وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ اخْتِيارُ الْكَلَامِ وَتَصْحِيحُ
 الْأَفْسَامِ . وَقِيلَ ذَلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ الْأَخْصَارِ عِنْدَ
 الْبَدِيهِ وَالْفَرَازَةِ يَوْمَ الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حُسْنُ
 إِيْجَازِهِ وَقَلَّ مَجَازُهُ . وَقِيلَ الْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ السَّحْرِ
 وَفَوْقَ الشَّعْرِ يَنْتُ الْحَرْدَلُ وَبِحُطِّ التَّجْدَلِ . وَقِيلَ الْحَضْرِيِّ
 فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ . وَسَأَلَ
 الْحَجَّاجُ ابْنَ الْفَرَّيْهِ عَنِ الْإِيْجَازِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ

وَالْعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ بِحَوِيهِ لِنَظِّ طَوِيلٌ

وَفِي الْكَلَامِ فُصُولٌ وَفِيهِ قَالَ وَقِيلَ

وَأَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً. وَالثَّانِي أَسْتِيفَاءُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا

هُوَ فِيهَا. وَالثَّلَاثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ

أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا يُوَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّ

الْمَعْنَى تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً. وَالثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ

الْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُوَافَقَةُ

فِي الْإِثْلَافِ وَالْمُضَادَّةِ مَعَ الْإِخْلَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَافِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ

الْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَجْعَلَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ. وَالثَّانِي تَنَكُّبُ

الْلَفْظِ الْمُبْتَدَلِ وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَزْدَلِ حَتَّى لَا

يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُو عَنْهُ فَهْمٌ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْجَاهِظُ

فِي كِتَابِ الْيَبَانِ. أَمَا أَنَا فَلَمْ أَرْ قَوْمًا أَمْثَلَ طَرِيقَةَ فِي
 الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّهَمُوا مِنَ الْأَلْفَافِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَافِطًا عَامِيًّا. وَالثَّالِثُ أَنْ
 يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَافِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ. أَمَا الْمُطَابَقَةُ
 فِي أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَافُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
 وَلَا تَقْصُ عَنْهَا. وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي
 الْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَافِقَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى
 مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْبَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى الْفَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ
 اخْتِيارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عِيًّا
 مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيقُ بِنَعْصِ الْأَلْفَافِ إِمَّا لِعُرْفِ مُسْتَعْمِلِ أَوْ
 لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسِنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ نِلَكَ الْمَعَانِي بِغَيْرِ نِلِكَ
 الْأَلْفَافِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِبَادِ

مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى
يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ
(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الثامن

في المبادئ والآفات

إِعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنَ
الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ
الْكَلَامِ . إِنْ كَانَ فَتَحًا فَتَحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ
عِزًّا فَعِزًّا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
وَقَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ بِهِ . وَحُكْمُ هَذَا
النَّوعِ وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أُسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
إِذَا نَظَّمَ فَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدْبُجًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ
بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا
يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلُ الْمَدْبُجَ أَرْتَجِلًا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ

إِنْ حَارَتْ أَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ
 فِي ذَا الْمَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
 سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهُمْ
 أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنُ
 فَالْحُسْنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ ارْتَجَلَ الْمَدِيحَ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ
 كَمَا تَرَى حَسَنًا لَاتِمًا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنْ
 الْحَوَادِثِ كَفَتْهُ مُقْبَلٌ أَوْ هَزِيمَةٌ جَيْشٍ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يُدْأَفِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فَعِلَ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ضَعْفِ
 قَرِيبَةِ الشَّاعِرِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ
 الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
 كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذَلِكَ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ إِنَّ الْغَزَلَ رِقَّةٌ
 مُحَضَّةٌ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْظَمُ فِي الْحَوَادِثِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا
 مِنْ فَحْلِ الْكَلَامِ وَمَتِينِ الْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ الْغَزَلِ. وَأَيْضًا
 فَإِنَّ الْأَسْبَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي نِلِكَ الْحَوَادِثِ

وَالْإِبْدَاءُ بِالْمَحْضِ فِي ذِكْرِهَا لَا الْإِبْدَاءُ بِالْفَرْزِ إِذَا
الْهَمُّ وَاجِبُ التَّقْدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النَّوعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ
قَصِيدَةٍ بِالْمَدِجِ مَا يَتَطَيَّرُ مِنْهُ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ النَّفْسِ
لَا إِلَى أَدَبِ الدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ
كَوَصْفِ الدِّيَارِ بِالدُّثُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ تَشْتِثِ الْأَلْفِ وَذَمِّ الزَّمَانِ وَلَا سِيَمَا إِذَا كَانَ فِي
الْتِهَانِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي
الْخُطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَائِبِ الْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ الْكَلَامُ فِي
الْمَدِجِ مُفْتَتِحًا بَشْيءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطَيَّرَ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْدَاءَاتُ بِالْإِخْبَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْدَاءُ لَا ثِقًا بِالْمَعْنَى
الْوَارِدَةِ بَعْدَهُ تَوَفَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِمَاعِهِ. وَمِنْ قُبْحِ
الْإِبْدَاءَاتِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلَمْ يَكُنْ
يَسْكِبُ لِأَنَّ مُقَابَلَةَ الْمَدْحِ بِهَذَا الْخِطَابِ لَا خِفَاءَ بَيْنِهِ
وَكَرَاهَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ تَجَرَّعَ أَسَى قَدْ أَفْقَرَ الْأَجْرُ

الْفَرْدُ. وَإِنَّمَا أَلْقَى أَبَا تَمَّامٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكْرُوهِ تَبَعُهُ
 لِلتَّجَنُّيسِ بَيْنَ تَجَرُّعٍ وَالْأَجْرَعِ. وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ قَوْلُ
 الْبُخَيْرِيِّ فُوَادَ مَلَأَهُ الْحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا. فَإِنَّ أَيْدَاءَ
 الْمَدِجِ بِمِثْلِ هَذَا طَبِيعَةٌ يَنْبَغُ عَنْهَا السَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ
 يَكُونَ أَيْدَاءَ مَرْتَبَةٍ لَا مَدِجٍ. وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هَذَا عَلَى
 مِثْلِ الْبُخَيْرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِحِي الشُّعْرَاءِ. وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ
 الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ بِالْبَيْدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ
 أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ فَمَا رَأَى
 النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 الْمَوْصِلِيُّ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْجَحَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَفَائِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَمَحَاكُ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَهْلَاكَ

فَتَطِيرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ وَتَغَامِرَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَاقَ كَيْفَ
 ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ
 لِلْمُلُوكِ. فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ حَيْثُ قَالَ
 قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَاهَا الْآيَامُ
 وَمَا أَجْدَرَ هَذَا الْبَيْتَ بِمُفْتَحِ شِعْرِ اسْمُحْ بْنِ إِرْهِمِ الَّذِي
 أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ
 حَسَنًا لَا تَبْهًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحْذَقِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ مَنْ
 أَجَادَ الْإِبْدَاءَ وَالْمَطْلَعَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ
 الَّتِي أَوَّلَهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْآيَامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسَامُ
 فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنَزَلَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَكْرَهَةٌ
 الْإِبْدَاءُ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ الْخَلِيقَةِ الْأَمِينِ وَافْتِتَاحِ الْمَدِجِ
 بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَدُنُورِهَا مِمَّا يُطَيَّرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي مُشَافَهَةِ
 الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَلِهَذَا يُخْتَارُ فِي ذِكْرِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَنَازِلِ
 مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسُنَ النُّطْقُ بِهِ كَالْعَذِيبِ وَالْغَوْنِزِ وَرَأْمَةِ
 وَبَارِقِ وَالْعَقِيقِ وَأَسْبَاهِ ذَلِكَ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِبْدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا
 يُطَيَّرُ مِنْهُ فَقَطْ فَإِنَّ مِنَ الْإِبْدَاءِ مَا يُسْتَفْهِجُ وَإِنْ لَمْ
 يُطَيَّرْ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ قَدْ كَأْتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

وَقَوْلِهِ فَبِئْسَ جَمَاعِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنِّي وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
 الْمُنْتَبِي أَقْلُ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مَجْدُ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَذِينَ
 الشَّاعِرِينَ الْمُهَلِّقِينَ يَتَدَيَّنَانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ
 الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَهَامٍ فَإِنَّهُ أَفْتَحَ فَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُورِيَةَ فَقَالَ

السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
 فِي حَدِّهِ التَّحْدُ بَيْنَ التَّجْدِ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَاحِ لَأَسْوَدُ الصَّخَائِفِ فِي

مُتَوَنِّهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 فَلَمَّا فُتِحَتْ بَنَى أَبُو تَهَامٍ مَطْلَعَ فَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى
 وَجَعَلَ السِّيفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِامْتِنَاعِ
 الْبَلَدِ وَأَعْنِصَامِهَا وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرثِيَةٍ
 أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
 وَأَصْنَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَعَا

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي
 شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي فَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَانَ قَدْ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ نَزْعَةٌ فَبَدَأَ فَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

الْمَقْصُودِ فَقَالَ

حَسَمَ الصُّلْحَ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي

وَأَذَاعَتْهُ السُّنُ الْخَسَادِ

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِبْدَاءِ وَنَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي

سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ ابْنُ الشُّمَيْقِ حَلَفَ لِيَلْقِيَنَّهُ كِفَاحًا

فَلَمَّا التَّقْيَا لَمْ يُطِيقْ ذَلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَافْتَحَ أَبُو الطَّيِّبِ

فَصِيدَتْهُ بِخُحْوَى الْأَمْرِ فَقَالَ

عُقِيَ الْبَيْهِنِ عَلَى عُقِي الْوَعَى نَدَمٌ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِفْدَامِكَ الْقَسَمِ

وَفِي الْبَيْهِنِ عَلَى مَا أَنْتَ إِوَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْبِعَادِ مَتَّهِمٌ

وَمِنْ الْبَدِيعِ النَّادِرِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ مُتَغَرِّلاً فِي مَطْلَعِ

فَصِيدَتْهُ الْفَأْفِيَّةُ وَهِيَ

أَنْزَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ نَحَسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاءِ

وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ كَافٍ لِلْمُنْعَلَمِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

(انتهى ملخصاً ببعض تصرف عن المثل السائر)

الفصل التاسع

في التلخيص والآقيضاب

إِذْ عَلِمَ أَنَّ التَّلْخِصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى
مِنَ الْمَعَانِي فَبَيْنَا هُوَ فِيهِ إِذَا أَخَذَ فِي مَعْنَى آخَرَ غَيْرِهِ
وَجَعَلَ الْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ أَخِذَا بِرِقَابِ بَعْضٍ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامُهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ
جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أَفْرَغَ إِفْرَاغًا وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
حَذَقِ الشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصَرُّفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نِطَاقَ الْكَلَامِ
يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَبِعًا لِلْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ فَلَا تُؤَانِيهِ
الْأَلْفَاظُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَأَمَّا النَّائِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ الْعِنَانِ
يَهْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذَلِكَ يَشُقُّ التَّلْخِصُ عَلَى الشَّاعِرِ أَكْثَرَ
مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّائِرِ

وَأَمَّا الْإِقْضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ التَّلْخِصِ وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ
الشَّاعِرُ كَلَامَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ
مَدْحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلثَّانِي عِلَاقَةٌ بِالْأَوَّلِ
وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَرَبِ وَمَنْ بَلِيهِمْ مِنَ الْخُضَرِّ مِثْنٌ وَأَمَّا

الْعُدُّونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي الْخُلُصِ فَأَبَدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ
كُلَّ غَرِيْبَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ
يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ

مِنَّا السَّرَى وَخَطَى الْمَهْرَةَ الْقُودِ
أَمَطَلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَنْ تَوْمَّ بِنَا

فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
وَقَوْلُهُ

غِيْدَاءَ جَادٍ وَلِيَّ الْحُسْنِ سُنَّتَهَا
فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنَا
يُضْحِي الْعُدُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَلِفَنَا

يَعْذُرُ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلِفَنَا
وَدِيعُ فُؤَادِكَ تَوْدِيْعُ الْفِرَاقِ فَمَا
أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيْعِ مُنْصَرِفًا
يَجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ

جِهَادُهُ لِلْقَوَائِي فِي أَبِي دُلْنَا
وَمَا جَاءَ مِنَ الْخُلُصَاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ الْمَتَنِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ
الدَّالِيَّةِ

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْأَخِيذُ بَعْضُهُ بِرِ قَابِ بَعْضٍ لَا تَرَى إِلَى
الْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَدْحُوحِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ
فِي قَالِبِ وَاحِدٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَتَى بِهِ مِنَ التَّخْلِصَاتِ وَهُوَ فِي فَصِيدَتِهِ الثَّانِيَةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا نَبْتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا
وَمَقَابِلٍ بِمَقَابِلِ غَادَرَتِهَا أَفْوَاتٌ وَخَشِ كُنْ مِنْ أَفْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُمَا غُرَرَ الْحِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جِبَاهَتِهَا
الْثَّائِبِينَ فُرُوسَةً تَجْلُو دَهَاهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنَ فِي لَبَائِهَا
فَكَأَنَّهَا تُنَجِّتُ قِيَامًا مِنْهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلَدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ النَّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْعَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سَقَيْتُ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا
فَانْظُرْ إِلَى هَذَيْنِ التَّخْلِصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَالْأَوَّلُ خَرَجَ بِهِ
إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَدْحُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

الْمَدْحُ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلُّ الْإِغْرَابِ . وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صَلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَانِكَ

وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

وَالْإِلَّاهِ فَخَاتَمِي الْقَوَائِي وَعَافِي

عَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ضَعُفُ الْعَزَائِمِ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ التَّخْلُصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا

كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدْحِ

غَدَا بِكَ كُلُّ خَلِوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْنَحَ كُلُّ مَسْثُورٍ خَلِيعًا

أُحْبِكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ نَبِيرٍ أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِبْعًا

وَهَذَا تَخْلُصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَبَسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْجَهَالِ

شَيْءٌ وَهَنَا يَكُونُ الْإِفْتِضَابُ أَحْسَنَ مِنَ التَّخْلُصِ فَيَنْبَغِي

لِسَائِكَ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَنَاهُ

التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى

يَكُونَ مِثْلَ هَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَنَبِّيُّ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي

أَوَّلُهَا أَحِبَّا وَأَيَسِّرْ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ الْأَمِيرَ بَرَى ذُلِّي فَيَسْنَعُ لِي
إِلَى الَّتِي تَرَكْتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا
وَالْأَضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّخْلُصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا أَلْقَاهُ
فِي هَذِهِ الْهَوَى إِلَّا أَبُو نُوَّاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَحْجَى بْنِ خَالِدٍ
هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ فَلْيَتَخَيَّرِ النَّاضِمُ

وَالْإِقْتِصَابُ الْوَارِدُ فِي الشِّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَالتَّخْلُصُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فَطَرَةٌ مِنْ بَحْرِ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ التَّخْلُصُ فِي شِعْرِ
الشَّاعِرِ الْمُعْجِدِ إِلَّا قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَضَعِّبِ مِنْ شِعْرِهِ
فَمِنْ الْإِقْتِصَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ الثَّنَوِيَّةِ الَّتِي
أَوَّلُهَا يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدِّمَنِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ
شِعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمِلْ حُسْنَهَا بِالتَّخْلُصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى
الْمَدِيحِ بَلْ اقْتَضَبَهُ اقْتِصَابًا فَبَيَّنَا هُوَ يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ
فَأَسْفِنِي كَأَسَا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتَ مَسْمُوعَةَ أَدْنِي
مِنْ كَمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٌ مَا سَلَسَلْتَ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْخَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضَحَّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ
 سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ
 فَأَكْثَرَ مَدَامِحَ أَبِي نُوَّاسٍ مُقْتَضِبَةً هَكَذَا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ
 قَوْلُ الْجَعْفَرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِالْجُودَةِ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْفُحَّاحُ بْنُ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِقَاءَهُ الْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلُهَا
 أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لِرِزْنَا وَهِيَ مِنْ أُمِّهِاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ
 ذَلِكَ لَمْ يُوفَّقْ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدْحِ فَإِنَّهُ
 بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغْزِيلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهْدُكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنَيْتَ مَوْعِدًا
 جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَفْتَ أَبْرَفْتَ خُلْبًا
 وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
 دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبًا
 فَوَا أَسْفَا حَسَامَ أَسْأَلُ مَا نَعَا
 وَآمَنُ خَوَاتَنَا وَأَعْنِبُ مُذْنِبَا
 حَتَّى قَالَ فِي أَثَرِ ذَلِكَ

أَقُولُ لِرَكَبٍ مُّغْنَيْنِ تَدْرَعُوا
عَلَى عَجَلٍ فِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ غَيْبَهَا
رِدُّوا نَائِلَ الْفَنَحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ
أَعْمُ نَدَى فَيْكُمُ وَإِسْرُ مَطْلَبًا
فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ بِغَيْرِ وَصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
فَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِأَلْحُودَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْفَنَحُ بْنُ خَاقَانَ
أَيْضًا وَأَوَّلُهَا مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَأَ طَلَّلَ فَفَرُّ فَبَيْنَا هُوَ فِي
غَزَلِهَا حَتَّى قَالَ
لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ أَلْجَدَى
إِذَا بَقِيَ الْفَنَحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْفَطْرُ
فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ مُتَضَبًّا لَا مُتَعَلِّقًا بِهِ . وَأَمثالُ هَذَا فِي
شِعْرِهِ كَثِيرٌ
وَأَتَخَلَّصُ غَيْرُ مُبْكِنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ
مُسْتَضْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ وَبِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ
الْأَمْثَلَةِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل العاشر

في الختام

هَذَا النَّوعُ يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَالنَّائِرِ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِيهِ غَايَةَ
التَّائِقِ وَبُجُودَافِيهِ مَا اسْتَطَاعَ لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَنْتَهِي إِلَى السَّمْعِ
وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي الْأُذُنِ وَيَعْلُقُ بِحَوَاشِي الذِّكْرِ فَهُوَ كَمَقْطَعِ
الشَّرَابِ يَكُونُ آخِرَ مَا يُمْرُ بِالْفَمِ وَيُعْرَضُ عَلَى الذَّوْقِ
فَيَشْعُرُ مِنْهُ بِمَا لَا يَشْعُرُ مِنْ سِوَاهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي الشَّرَابِ
بَعْضُ مَرَارَةٍ وَكَانَ حُلُوَ الثَّمَالَةِ طَيِّبَ الْمُنْرَعَةِ سَرَّ هَذَا
الْحُلُوِّ تِلْكَ الْمَرَارَةُ وَكَانَ هُوَ الْبَاقِي وَهِيَ الْذَاهِيَةُ. وَلِذَلِكَ
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخِتَامُ مُمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْكَلَامِ قَبْلَهُ بِنُكْتَةٍ
لَطِيفَةٍ أَوْ أَسْلُوبٍ رَشِيقٍ أَوْ مَعْنَى يَلِيجُ وَيُخَارَلُهُ مِنَ اللَّفْظِ
الرَّقِيقِ الْحَاشِيَةِ الْخَفِيفِ الْحَمِلِ عَلَى السَّمْعِ السَّهْلِ الْوَرُودِ
عَلَى الطَّبَعِ وَيُجَاقِي بِهِ عَنِ الْإِسْهَابِ وَالْتَعْقِيدِ وَالثِقَلِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ الْأُذُنُ وَتَثْقُلُ مُوْتَنُهُ عَلَى الذِّكْرِ فَتَذْهَبُ
طَلَاوُتُهُ وَتَضِيعُ بِهِ مُحَاسِنُ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ كُلَّ نَالٍ مِمَّا سَبَقَهُ
يَعْمُو أَثَرُ مَا تَلَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْآخِرِ مَا يَخْلُفُ تِلْكَ
الْعَاسِينَ كُلَّهَا ذَهَبَتْ بِأَسْرِهَا طَلْفًا. وَمَنْ جَوَّدَ الشَّاعِرُ أَوْ

النَّائِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ
 ضَرِيئَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ الضَّجَرُ وَلَمْ يَسْتَوِلْ عَلَيْهِ الْخَصَرُ
 وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّةُ الْإِنْفَاقِ وَيَكُونُ مِثْلَ الْفَرَسِ الْحَوَادِ
 كُلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرِيٌّ نَشِطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوْطِهِ
 أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ الْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّنًا بَيْنَهُمَا الْكَلَامَ بِحَيْثُ يَكُونُ
 وَاقِعًا عَلَى آخِرِ الْمَعْنَى فَلَا يَتَشَطَّرُ السَّمْعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأُظْهِرُ
 مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْقِصَصِ الْمَسُوقَةِ كَمَا فِي الْمَقَامَاتِ مَثَلًا
 فَإِنَّ نِهَآيَةَ الْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ الْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ اللَّفْظُ .
 وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى الْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ
 عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخِرٍ يُذَكِّرُ عَلَى عَقِبِ الْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ الْأَغْرَاضِ
 السَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزَعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْنَى بِهِ تَقْرِيرًا
 لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ أَوْ إجمالًا لِإِفْصَالِهَا مُوردًا عَلَى
 وَجْهِ مِنْ وَجْهِهِ الْبَلَاغَةِ أَوْ الْكَلَامِ الْجَامِعِ أَوْ مُخْرَجًا مُخْرَجَ
 الْمَثَلِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِمَّا تَعَلَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ
 وَتَقَيَّدَتْهُ الْأَذْهَانُ . وَهَذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هَذَا النَّوعِ
 وَالظَّافِرُونَ بِتَلَاتِيهِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَامْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِي

فِي الشَّعْرِ أَوْ مَا يُنْحَى فِيهِ مَخَاهٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْمُجْزَالَةِ
وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَوِّرِ
وَمَا أَخْصَكَ فِي بُرْءٍ بِتَهَشُّةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ
أَوَّلَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ بِأَلْفِهِمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَسَنِ
وَقَوْلِ الرَّمُوحِيِّ فِي خِنَامٍ إِحْدَى مَقَالَتِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ
فِي الْكَلَامِ يَتَرَجِمُ عَنْ خِفَةِ الْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ شَيْئًا
إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ الْمَنْكَلِمَ إِلَّا الرِّزَانَةُ. وَكَقَوْلِهِ فِي خِنَامٍ
أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِالْدَّعْوَةِ يُخْفِيهَا وَبِخَافِ الْمَدْعُوِّ فِيهَا
فَيَا لَهَا مُحْكَمَةٌ ذَاتُ نَبْرِينَ مُشْرِقَةٌ ذَاتُ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا
الْخُفْيَةُ مِنْ بَابِ الرِّثَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا الْحَيْفَةُ فِي بَابِ الْإِنْتَاءِ
وَلَكِنَّ النَّاسَ عَنِ التَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَالنَّظَرَ الصَّحِيحَ بَيْنَهُمْ
مَقْهُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَالْأَكْثَرُ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنْ

يُضْمَنُ غَرَضًا آخَرَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْ عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوْ تَوَقُّعَ الْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَحْتَمِلُهُ
مَقَامَاتُ الْكَلَامِ وَتَقْنِصِيهِ دَوَائِي الْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْكِتَابِ
وَالْمَوْلَدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ذَهَابًا إِلَى الْفَعَالِ أَوْ التَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ التَّحْسِبِ وَالْتِقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ الْخُطَابِ أَوْ الْمَمْدُوحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَجْنُمُونَهَا فِي النَّثْرِ بَعْدَ الْأَغْرَاضِ الْمَذْكُورَةِ
بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوْ بَيْنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ
وَالْأَمْثَلُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِضَةٌ كَقَوْلِ الْقَاضِي
مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدِ لِلْمَلِكِ
الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلٍ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ اسْتِخْلَافَهُ
هَذَا لِلْمُتَّبِعِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ انْتِصَامًا وَيُطْفِئُ بِهِمَا سَيُوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَظَبٍ حَتَّى تُصْجِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.
وَقَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابِهِ وَإِنْ
قَسَمْتُكَ الْعَجَلُ لِنَدْرِكَ وَحَمِيمِكَ الْمُنْتَهِبِ فِي بَرِّكَ
تَصَعَّقَ نَبَأُكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَأَسْتَوْضَحَ إِخَاءُكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةً يَمِينِهِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْإِكْبَارِ وَوَلَاكَ صُفْوَةً
بَقِيَّتِهِ صَادِقَةً الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِي! اللَّهُ

تَجِدُهُ حَيْثُ نَشَدُهُ وَتَعِدُهُ عَلَى أَبَرِّ مَا تَعْتَدُهُ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ وَقَوْلِ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِي فِي خِصَامِ رِسَالَةٍ وَلِلشَّيْخِ
 الرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِالْجَوَابِ وَتَعْرِيفِ بِسَارِ الْأَخْبَارِ
 وَتَكْلِيفِ سَوَائِحِ الْأَوْطَارِ وَتَضَرِيفِي عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
 رَأْيُهُ الْمَوْفَقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ أَمْثَلِيهِ فِي الشِّعْرِ
 قَوْلُ الْمُنَبِّئِ

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرَجًا
 وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا

وَقَوْلُهُ
 أَنْتُمْ سَعْدَكُمْ مَنْ أَعْطَاكَ أَوْلَهُ
 وَلَا أَسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ
 وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْهَيْلِ سَلَامٌ
 وَكَثِيرًا مَا بَخِمُ النَّائِرُ بِقَوْلِهِ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ
 الْإِخْصَارِ وَالْإِبْجَازِ وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي رِسَائِلِ الْعُتْبِ
 وَالْمَوْجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَقَدْ بَخِمُ بِلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَهًا بِاللَّهِ أَوْ يَقُولَهُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْخَالُ . وَرَبِّهَا خَتَمَ بِمِثْلِ
 أَوْ بَيَّتَ مِنَ الشَّعْرِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي خِتَامِ
 رِسَالَةِ وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكُرَمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ
 فِيهَا لِقَلَّةِ سَالِكِيهَا وَبَيْتُهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا
 وَأَنْهَدَامِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقَلَّةِ الرَّفِيقِ
 وَالْهَمَّةِ صَبْرًا يَهْوَنُ عَلَيْهِ أَحْصَالُ الْمَغَارِمِ وَيُقَرَّبُ عَلَيْهِ
 مَسَافَةُ الْمَكَارِمِ . فَيَا لَصَبْرٍ تَنَالُ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بِحَمْدِ
 الْقَوْمِ السُّرَى . وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلَكِنَّ الْغَضَبَ
 يُنْسِي الْحُرْمَانَ وَيَدْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جَنَابَاتِ
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ

لَكَالِدَهْرٍ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

إِنْتَهَى وَفِي هَذَا الْقَدْرِ غَنِيَّةٌ لِلْبَصِيرِ وَفِي تَتَبُعِ رَسَائِلِهِمْ
 وَخُطْبِهِمْ وَدَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمَهَا وَحَدِيثُهَا مَوْوَنَةٌ
 كَافِيَةٌ بِهَدَايَةِ اللَّهِ وَتَسْدِيدِهِ

(مصححه)

القسم الثاني

في شذراتٍ مختلفةٍ من أقوال الكتاب
وفيه فصول

فصل

في حسن التواضع

كتب ابو عبد الرحمن محمد بن طاهر الى بعض اخوانه
كُتِبَتْ اَعْرَكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرٍ اَنْدَحَ عَلَى سِرِّ اَعْتِقَادِكَ
دُرُّهُ وَنَبَجٌ فِي اُفُقٍ وَدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ
ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَكَمَا
ظَفِرَتْ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا جَنِيًّا يُؤَافِيكَ عَرْفُهُ
ذِكْرًا وَيُؤَالِيكَ اُنْسُهُ نَحِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَتِّكَ فَرَضًا مَا نَبَا
عَلَى أَنْ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا
يَمْلُهُ خَاطِرٌ وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وكتب ابو الفضل بن العميد الى بعض اخوانه

قَدْ قَرَّبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مُحَلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ

مُسْتَقَرُّكَ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ الشَّوْقَ يُهْلِكُ وَالذِّكْرَ يُجَيِّلُ
فَنَعْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي
التَّسْمِيَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَكِنْ تَفَارَقَتْ
الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَانَتِ الْأَرْوَاحُ

وكتبَ بديعُ الزمانِ المَهْدَانِيُّ إِلَى الْقَاسِمِ الْكَرَجِيِّ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوِبَ
فِي خِدْمَتِهِ فَلَمِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ
وُصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِكِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ
مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَائِقُ جَمَّةٌ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ
وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبِلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحَيْطَانِ
وَلَكِنْ شَغْنًا بِالْقُطَّانِ وَلَا عِشْقُ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى
السَّكَّانِ وَحِينَ عَدَّتِ الْعَوَادِي عَنْهُ أُمْلِيتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ
عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ
وَقَعَ وَقُتُورِي فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ
إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ لِذُنْبَا فَكُنِّي أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابَا

وكتبه أبو محمد عبد الله البطليوسي إلى أبي الحسن بن الأخضر
يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِمَادِي الْأَسْنَى وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ
الْحُسْنَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاةَهُ لِفَضْلِ يُعْلِي مَنَارَهُ وَعِلْمُ يُجَيِّ أَنَارَهُ نَحْنُ
أَعَزُّكَ اللَّهُ تَدَانِي إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أُشْخَاصًا وَتَجَمَّعْنَا
الْأَدَبُ وَإِنْ فَرَقْنَا النَّسَبُ فَالْأَشْكَالُ أَقَارِبُ وَالْأَدَابُ
مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءِي الْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ
وَمَا مِثْلُنَا فِي هَذَا الْإِنْتِظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَهَامٍ

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعَلَيَّ وَمَذْهَبِي
وَإِنْ بَاعَدْتَنِي فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا بَرِكَ ذَاكَرُ وَلِمَا خَرِكَ نَاشِرُ إِلَّا ذُو الْوِزَارَتَيْنِ
أَبُو فُلَانٍ أَبَقَاهُ اللَّهُ لِقَامِ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ
عَنْ قَوْلِ كُلِّ فَائِلٍ فَإِنَّهُ يَهْدُ فِي مِضَارِ ذِكْرِكَ بَاعَا رَحِيبًا
وَيَقُومُ بِغَيْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا حَتَّى يَنْتَبِذَ إِلَيْكَ الْأَحْدَاقَ
وَيَلْوِي نَحْوَكَ الْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمَتْ
سَعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ
أُنْجِدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَاكُ حَيْثُ سَارَ وَإِنْ لَبِلَ جَهْلُ

أَطْلَعْتَ فِيهِ فَجَرَ تَبْصِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنْ نَبَعَ
فَكَرَ فَدَحَهُ بِتَذْكِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَبِئْنَا
لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ شَاخُ الْعِلْمِ
مَنْشُورُ اللَّوَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَاةِ مُلِيتِ الْأَدَابُ عُمَرُكَ
وَلَا عِدِمَتِ الْأَلْبَابُ ذِكْرُكَ وَرَقِيتِ مِنَ الْمَرَاتِبِ أَعْلَاهَا
وَلَقِيتِ مِنَ الْمَارِبِ أَفْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ

والمصحح إلى صديق له

مَا زِلْتُ أَدَافِعُ النَّفْسَ فِيهَا تَقَاضَايَ مِنْ شَكْوَى
أَسْوَاقِهَا وَفِي الشَّكْوَى شِفَاءُهَا وَأَسْتَنْزِلُ أَثْرَ مِنْ لَدُنْكَ تَعَلَّلُ
بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَهْنُ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا
مَشَادَهُ قَدْ شَغَلَتِ الذَّرْعَ وَشَوَاغِلُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ
إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِلِ الصَّبْرِ وَزَاخَمَ مَنَاكِبَ
الْعُدُوِّ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ انْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَأَتَخَذَتْ
هَذِهِ الرُّقْعَةَ أَزْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَفْرِ الشُّوقِ مَا يَنْوِي
بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يَجْلِفُهَا
فِيصَاحُ الْأَعْنَابِ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتْلَى بِمَا عُمِدَ
فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَاقِ وَالْإِشْرِ وَأَنْ لَا يَضُنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَّدَنِي مِنْ تَهْيِيدِ الْعَذْرِ وَيَصْلِنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِ الطَّيِّبَةِ
عَائِدَةٍ عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاطِرِ قُرَّةً وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وله

وَإِنِّي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ
بِبَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ مَا شَهِدَ
بِصِحِّهِ سَقِيٍّ وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَهَا أَذْكَرَنِيهِ الْبَرَقُ إِذَا لَمَعَ
وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَالْقَمَرُ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَلَنِي عَنْكَ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَجَادِبَةِ الشَّوَاغِلِ وَمَسَاوِرَةِ الْبَلَابِلِ
وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتْ أَلْحَالَاتُ وَهُوَ مُعِيسٌ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتِ
أَنْبَاؤُكَ عِنْدِي لَا يَخْطِئُنِي بَرِيدُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وُرُودُهَا
أَهْنَى النَّفْسِ مِنْهَا بِمَا تَهْنِي لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ لَهَا شِعَارٌ
وَإِقْبَالُهَا لَا يَعْزِضُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِدْبَارُهَا وَقُصَارَى الْمَأْمُولِ
فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ الصِّلَةِ إِلَى

أَنْ يَمُرَّ اللَّهُ بِالْأَجْمَاعِ وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمْعِ
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى ابي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة
كتابي وانا بما يبلغني من صالح اخبار الشيخ مغني
مسرور وبما يعرفه الزمان واهله من اعتصادي به مصون
موفور والله على الاولي محمود وعلى الاخرى مشكور
التطفل وان كان محظورا في غير مواطيه فانه مباح في
اماكيه وهو وان كان في بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا
فانه في بعضها يجمع فخرا ودخرا ورب فعل يصاب به
وقته فيكون سنة وهو في غير وقته بدعة وقد تطلعت على
الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودته اليه واعرض
فيها مودتي عليه واسأله ان يرسم لي في لساني وقلبي رسما
ويختم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على
حكمه وسأضعهما تحت خفيه وبرئت اليه منهما وصرت
وكيلة فيهما فهما على غيره حتى لا يقرب وبجيرة لا تحلب
ولا تزكع ولما نظرت الى اثار الشيخ على الاحرار
ونشرت طراز محاسنه من ايدي الفاصدين والزوار ورأيت

نَفْسِي غُفْلًا مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلًا مِنْ جَمَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيَّتِهَا
مِنْ أَنْ يَحْقُقَ عَلَيْهَا وَرْدُ مَوْزُودٍ وَيَحْسَرَ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى
الْجَمِيعِ مَهْدُودٌ وَنَجِيثٌ مِنْ

سَحَابِ خَطَائِي جَوْدُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ
وَجَرِّ عَدَائِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ
وَبَدْرِ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعِ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

فَصْلٌ

فِي الْإِسْتِعْطَافِ وَالْإِعْتِنَاءِ

كُتِبَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاهِظُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزُّكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا
مَا طَبَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّامِيلِ الَّذِي لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِحَالٍ
أَلَمْ أُمُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعَتَقَاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ
خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْإِنْقِطَاعِ

إِلَيْكُمْ وَالْكَوْنُ نَحْتُ أَجْنَحِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَعْظَمَ بَرَكَةً وَلَا
 أَنَّى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْنَحْتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ عَادَ
 الذَّنْبُ وَسِيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلِكَ مِنْ أَتَقَلَّبَ بِهِ الشَّرُّ
 خَيْرًا وَالْعَرْمُ غُنْمًا مِنْ عَاقِبٍ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا الْأَجْرُ
 فِي الْآخِرَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْسَامِ
 وَتَجَرَّعَ الْمَرَائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيمَا بَيْنَ
 كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَنْ صَغُرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ
 حَقُّهُ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ وَالْتِنَاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْمُجْرِمِ ضَعِيفِ
 الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ
 تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مُخَالَفَةِ
 أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تَتَكَلَّبُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ
 تَنْدَمُونَ وَلَا مِثْلَكُمْ إِلَّا كَمِثْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا
 يَهُدِي بِيْلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَاسْمَعُوهُمْ خَيْرًا
 فَقَالَ لَهُ شِيعُونُ الصَّفَا مَا رَأَيْتُكَ كَالْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا
 أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ أَمْرٍ يُنْفِقُ مِنْهَا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ
 إِلَّا الْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعَيْنِكُمْ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي
 فِيهِ يَنْضَعُ

وكتب الى رجل

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالْقَوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً
الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةً الْأَصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ.
وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَقَدْ قَصَرَ. وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرْفَ الرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ
يُودِّيَ إِلَى سَرْفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرْفِ الْغَيْظِ وَغَلَبَةِ
الْغَضَبِ مِنْ طِبَاشٍ عَجُولٍ فَحَاشٍ وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدَرٍ
فِي سَطْحِهِ مِنَ النَّهَابِ الْحُمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ
وَكَذَلِكَ جِسْمُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ النَّاسَ فِي الرِّقَاقِ أَسْرَعُ
وَضِدُّهُ فِي الْغِلَاطِ الْحَفَاةُ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ أَشَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ
مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ
الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَأَنْظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي
سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشْبُهُ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرِعِ وَالْثَبَاتِ وَإِلَى حِلْمِهِ
عِنْدَ التَّعْرِيزِ وَفُطْنِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ
ضَيْقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

أَلَا نَفَهُ وَغَلَبَةَ طِبَاعِ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْخَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
 اسْتِغْنَاهِ أَوْ كَانَ مُبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا
 فِيهِ غَيْرَ مُنْتَجِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ
 يَنْفَعُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أَسْمِيهِ بِكَثْرَةِ
 مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى
 طِبَاعِهِ كَمَا لَا أَسْمِيهِ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
 بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَنْى وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْخَصْصُ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
 لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ فَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ
 وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالِمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْأَنَاءُ أَقْرَبُ مِنَ
 الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنَّى مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
 الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَا لَأَنَاءِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ
 مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبُ أَيَّامَ
 شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَخَهُ وَلَا يُنَارِعُهُ قَبْلَ أَنْتِهَائِهِ إِلَّا فَهَرُهُ
 وَإِنَّمَا يُجْنَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْعَلَ وَأَذَكَّى
 نَارَهُ وَاشْتَعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَعْمًا
 وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبْطِطَتْهُ بِالتَّوَرَةِ وَأَوْجَرَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَلَدَدَتْهُ

بِالزُّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَأَتَيْتَهُ بِآدَمَ
 شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَنْ يُسَكِّنَ غَضَبَ الْعَبْدِ
 إِلَّا ذِكْرَهُ غَضَبَ الرَّبِّ . فَلَا تَقِفْ حِفْظَكَ اللَّهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ
 فِي عَنَابِي الْتِهَامَا لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَن إِفْرَاطِكَ مِنْ
 طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَفَقَّةً مِنْ يَتِيمٍ الْغَضَبَ عَلَى
 عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمْ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءً وَيُمْسِكُ
 إِمْسَاكَ مَنْ لَا يُبْرِئِي نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يُبْرِئِي الْهَوَى مِنَ
 الْخَطَاءِ وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْوَى فَقَدْ زَلَّ
 آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ . وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
 إِلَّا رَبَّنَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذَهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ
 وَمَا يَجْلُبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْذَوْتَةِ . وَاللَّهُ يَعْلَمْ
 وَكَفَى بِهِ عَلَيْهَا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مَكَاتِبَائِي
 وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي حِيزِ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ
 أَنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ اللَّوْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيَكَ
 بِنَفْسٍ مَيْتَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرٍ
 وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ . وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو تَقِيْفٍ مَوَدَّةُ
 الْآخِ النَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الْآخِ الطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَاقَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمَ
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا بُحَاكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ
وَلَا يُلْهِيهِ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا
بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلَا يَسْتَهِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرُّبَةُ وَقَادَتْنِي
الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ
لِعُذْرِي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّغْرِ عَنِّي فَرَاغِ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدِكَ
وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي لَوْلَا أَنَّ الْخُاطِبَةَ فِيهِ
لَكَ وَلَا خُطَّةً أَدْنَى مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي علي البجلي لما طال عتابه وكثرت
رفاعة إليه

لَوْ بَغِيزَ الْمَاءُ حَلْفِي شَرِقْ

كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ أَعْنِصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ أُنْفَى اللَّهِ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْدِي
إِلَى أَوْجِهٍ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْفَرْحَةِ الْعَمِيَاءُ
أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يُخْرِجُ
الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْكَرِيمُ أَيْدَى اللَّهِ الشَّيْخَ
إِذَا قَدَّرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسْرَ أَعْتَقَ وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَتَهُ
حَيَاتِي وَمَمَالِي بِيَدَيْهِ فَلَبِذْفَنِي حِلَاوَةُ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَانِي
مَرَارَةً أَنْتَقَامُو مِنِّي وَلُفَّحْ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ
عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطَوِهِ وَلَيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْخَرَّ كَرِيمُ الظَّفَرِ
إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَتِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ
وَلَيَغْتَنِمَ التَّجَاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلَيَنْتَهِزَ فُرْصَ
الْإِقْتِدَارِ وَلِيُحْمَدِ اللَّهُ الَّذِي أَقَامَهُ مَقَامَ مَنْ يُرْمَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدَهَا فِتْنِي وَأَخْلَقَ
 الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرِيقِي فَجَعَلَهُ فِي الْبِلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي
 الرُّتْبَةِ قَدْرَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلَبِعَنَتُ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ أَسْتَرَوْا لَمْ
 يُذْنِبِ إِلَيْهِ مَنْ أَعْتَذَرَ وَأَنْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ
 إِلَى الشُّجَاعَةِ بَعْدَ الْحَبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْبَقِينِ
 مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ الشَّيْخَ لَهَا بِحَفْظِ عَلَيْهِ قُلُوبَ
 أَوْلِيَائِهِ وَعَصَبَةِ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاجِمِ أَعْدَائِهِ
 وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ بِشِعَّةٍ أَوْ لَفْظَةٌ
 قَذَعَةٌ

ولمصحح إلى بعض أصنافه

وَإِقَالِي كِتَابِكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ
 نِفَارَهَا وَالْقَرِيجَةُ تَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْخِذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةٌ
 بِاسْمَةِ الْكَمَائِمِ فَاتِحَةُ النَّسَائِمِ قَدَرَدَتْ عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَسَاطَهَا
 وَأَحْبَتِ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَسَاطَهَا فَأَنَامَتْ مَا بَيْنَ وَشِي
 بِجَلِّ طِرَازِ الْعَبْرِيَّةِ وَزُخْرَفِ دُونِهِ نَضْرَةُ السَّابِرِيَّةِ
 تَنَاجِيْنِي مِنْهُ رَشَاقَةُ الْفَاطِطِ تَنْضَحُ قُدُودَ الْحَسَانِ وَغَضَاضَةُ
 أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرَدُ الْحِنَانِ وَرِقَّةُ خِطَابِ يَشْفِ عَنْ

وَدِّ صَفِيٍّ وَلُطْفِ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَنْبٍ أَعَذَبَ مِنْ
 الْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَأَرْقَ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
 لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي
 عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَعْتَرِبُهُ مَعَاذُ اللَّهِ وَهَنٌْ وَلَا
 بَخْلَانُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي وَطَنِ وَلَكِنْ صُرُوفَ
 الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصُرَتْ الْجُهْدُ وَصَرَفَتْ جَوَادِ الْعَزِيمَةِ عَنِ
 الْقَصْدِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
 وَلَمْ أَدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَنَيْتُ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي
 هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ الْبِرَاعِ وَهَجْرُ النُّعَايِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسَنِي
 مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حُلْمِكَ الْمَالُوفِ وَمَا الْفِتْنَةُ مِنْ
 كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُبَيِّنَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
 نَصِيبًا وَيُبْتَعِنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وله ايضا

يَا يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَعِزُّ
 مِنْ عَنَيْكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِذَنْبِهِ سِتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَنْبِ
 تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَةٍ تَقْصِيرِي وَمَا
 حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمْرًا فَصَدْتُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ إِن صَاحَبَتْهَا لَمْ تُصِيبْ وَإِنْ عَانَتْهَا لَمْ
تُعِيبْ فَلَقَدْ عَبَّرَتْ بِي هَذِهِ الْبُرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلٍ
لَا يَشْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ قَدْ أَخْطَطَ حَابِلُهَا بِأَلْيَابِلٍ
فَنَازَعَتْهَا هَذِهِ النَّهْزَةُ الْبَسِيرَةُ أَجَدَ دُفِيهَا صَلَةُ التَّذْكَرَةِ إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصَلَةِ الْحَبْلِ وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ
أَحْرَاقًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا النَّاطِرُ وَيَأْتِسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ
مَتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَتَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْزِيَ بِي عَلَى
عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ
عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فصل

في العتاب

وكتب ابو الفضل بدیع الزمان المہدائی الى ابي جعفر المکالي
لَئِنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
الْأَمِيرُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ فِي حَالِي

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُنْفَضِلٌ وَفِي يَوْمِي إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُحْسِنٌ
 وَهَيْثَالَهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَبِزْ عُرَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
 مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَسْتَزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
 أَظُنُّنِي مُحِبًّا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي قَرَارَةِ الذَّنْبِ
 وَمَشَارَةِ الْعُتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أُمِّي مَحْظُورٍ فِي الْعِشْرَةِ حَضْرَتُهُ
 أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي الزِّيَارَةِ
 أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَّاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قُلَّ وَهْدَاهُ رَأْيِي وَإِنْ
 ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُبَلِّغْ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالٍ رَحَلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ
 حَبْلَهُ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
 شُكْرَهُ ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صُحْبَةُ الْأَدْنَتْ مَهَانَةً وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً
 إِلَّا تَقَصَّتْ صِيَانَهُ وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنْهُ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنَزَلُهُ
 حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْأَعْظَامِ فِطْرَةً وَعَادَ فَيْصُ الْقِيَامِ
 صُدْرَةً وَدَخَلَتْ مَجْلِسُهُ وَحَوْلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَنِيَّةٌ فَصَارَ
 ذَلِكَ التَّقَرُّيبُ أَرْوَارًا وَذَلِكَ السَّلَامُ اخْتِصَارًا وَالْإِهْتِزَازُ
 إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِعْنَابُهُ
 وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَهُ أَجَابَ بِالسُّكُوتِ

فَمَا أَرَدَنْتُ لَهُ إِلَّا وِلَاءَ وَعَلَيْهِ الْأَثْنَاءُ لَا جَرَمَ أَنِّي الْيَوْمَ
 أَبْيَضُ وَجْهَ الْعَهْدِ وَاضِحُ حُجَّةِ الْوَدِّ طَوِيلُ لِسَانِ
 الْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَلْتُ فُلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ
 مَا تَجَافَى الْقَلَمُ عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مُوقِفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وله الى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ
 أَلْقَ تَطَاوُلَ الْأَخْوَانِ إِلَّا بِالطَّوْلِ وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ
 إِلَّا بِالتَّحْمُلِ أَحَاسِبُ الشَّيْخِ أَبَدَهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًا
 بِمَا عَقَدَتْ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ
 وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَثْتَ حِبَالُكَ وَأَوَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ
 فَإِنْ أَعَارَنِي أَذْنَا وَاعِيَةٌ وَنَفْسًا مُرَاعِيَةٌ وَقَلْبًا مُتَعِظًا
 وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَتَرْوَعًا عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَفْرَعُهُ
 وَتَرْوَلًا عَنِ الصُّعُودِ الَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمُودَّتِهِ خِيَانَ
 صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَمَجَامِعَ عُيْرِي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَفْطَعْتُهُ خِطَّةَ أَخْلَافِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ
إِعْرَاضِهِ وَأَنْكَفَأْتُ

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوتُ الْمَرْءَ مِنْ نَمْرَةٍ
فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْبَلِ السِّنِّ وَالْعُمْرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرِي
الْدَّهْرَ وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَلَقِيتُ وَفَدَيْتُ الْخَيْرَ
وَالشَّرَّ وَصَاحَتُ يَدَيَّ النِّفْعُ وَالضَّرُّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي
الْعُسْرَ وَالْيُسْرَ وَبَلَوتُ طَعْمِي الْحُلُوَّ وَالْمُرَّ وَرَضِعْتُ
ضَرْعِي الْعُرْفَ وَالنُّكْرَ فَمَا تَكَادُ الْأَيَّامُ تُرِيْنِي مِنْ أَعْمَالِهَا
غَرِيًّا وَتُسَمِّعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيًّا وَلَقِيتُ الْأَفْرَادَ
وَطَرَحْتُ الْأَحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي سَمْعِهِ
وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حِزْزِي فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ وَأَثَلْتُ كِفْتَهُ فِي
الْحَزَنِ وَكِفْتَهُ فِي الْوَزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقِرْنَ صَحْبَتِي
أَوْ لَقِي صَحْبَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هَذَا الصِّغَرُ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي
أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى أَحْتَجِبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ
حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاسِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ يَجْعَدَ فَضْلَ
الْعِلْمِ أَوْ يَمْنَطِي ظَهْرَ النَّبِيِّ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْتَصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

فَصَدِّهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْمَخَاطِبَةِ الْمُتَحِفَّةِ وَالرُّتْبَةِ
الْمُتَحِفَّةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَنَائِهِ يَسِيرُ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ
وَنَزَعَ عَنْ شَيْئِهِ فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأُسْتَاذِ
الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ

وكتب المجاحظ الى قليب المغربي

وَاللَّهُ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَيْدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ
وَرَوْحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلْتُكَ هَذِهِ الطَّعِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ
حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ
جَنَائِكَ فَيَرُدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ الْقَلْبِ رَاغِبٌ فَقَدْ طَالَ
الْعَهْدُ يَا لِاجْتِمَاعٍ حَتَّى كِدْنَا تَتَاكَرُّ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُخَنِّجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ
إِحْسَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُنْيَتِي
وَإِحْسَاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي وَلَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْذِرُكَ
وَتُحَسِّنُ مَا يَبْجَعُ جَفَاؤُكَ وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتب آخر الى بعض إخوانه

أَلْهَمَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَارَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَدْنَاهُ عَيْنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى
بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين

إلى بعض إخوانه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ
فِيكَ أَتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَتَغَبِّتُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ
ذَنْبٍ فَأُطْمَعِنِي أَوَّلَكَ فِي إِخَائِكَ وَأَبَاسِنِي آخِرُكَ مِنْ
وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ
الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقْمِنَا عَلَى اتِّلَافٍ وَأَفْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وكتب أحمد بن يوسف إلى بعضهم

لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَائِكَ
عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنْ
الرَّجَاءِ عَلَيَّ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى
الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا
وَسُودُوكَ شَافِعًا

وكتب العناني إلى بعض إخوانه

لَوْ أَعْنَصَمَ شَوْفِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ وَلَمْ أَنْجِسْ مَرَارَةَ نَهَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَفْتَنَّا
صَبَابَتَنَا فَأَحْمَلْنَا فُسُوكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوْدَّتِكَ وَأَنْتَ
أَحَقُّ مِنْ أَقْصَى لِصْلَتِنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِسَوْفِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ
وَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ إِلَى صَدِيقِ لَهْمَا مُخْلِصٍ مِنْ يَدِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي رَهْمٍ
كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ
الْجِلَاءِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظُّلُمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْحَيَّةُ
وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْنَقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُوَدِّعٌ لَا يُبْكِي
عَلَيْهِ وَالتَّحْمُدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مِحْنَةٍ يُجَلِّهَا وَنِعْمَةٍ يُبِيلُهَا
وَبُؤْلِيهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسَ كِتَابِ الشَّيْخِ بِالتَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمِ
بِالْتَّهْنَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّامِ الْبُرْحَاءِ بِأَنْهَا غَمَّتْ وَلَا
فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنْهَا سَرَّتْ وَقَدْ اعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
وَجَادَلْتُ عَنْهُ فَلَمَّا قُلْتُ أَمَا إِخْلَالُهُ بِالْأُولَى فَلَانَهُ شَغْلُهُ
الْأَهْتَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخِرَى فَلَانَهُ
أَحَبُّ أَنْ يُؤْفَرَ عَلَى مَرْتَبَةِ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْدَاءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ
عَلَى مَحَلِّ الْإِفْدَاءِ لِيَكُونَ نِعَمُ اللَّهِ سَجَانَهُ عَلَيَّ مُؤَفُورَةً مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ وَمُخَفُوفَةً بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ
إِلَّا عِنْدَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالِاسْتِغْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَاثُ فَلْيُخْبِرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ
أَعْرِفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلَبِزَ صَ مَنِي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ فَلِي
وَأَعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِي
أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ وَالْعُودُ أَحْمَدُ

فَصْلٌ

فِي التَّصَلُّ

وكتب ابن الرومي الى القاسم بن عبيد الله

تَرْفَعُ عَنْ ظُلُمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفْضَلُ بِالْعَفْوِ إِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَالْتِمَسُ
الْإِقَالََةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِيَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا
أَعِيزُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشْ بِكَيْدِهَا وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُجَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدَرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ
أَسْتَخِيقُ مِنْكَ

وكتب آخر الى بعضهم

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي

بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ يَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَّاهُ عَلَى لِسَانٍ
 وَاشٍ فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ
 بِالْكَرَمِ وَأَرْغَى لِلْحَقُوفِ وَأَقْعَدُ بِالْشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدَمِّهِ مِنْ
 أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُوْمِلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهَ وَمِنْ عُدْرِكَ
 إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتب بدیع الزمان الممدانی الى ابي علي بن مشکويه

وَيَا عَزَّازَ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ
 فَلَا تَمْهَلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ مَهَلًا
 كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعِزَّةٍ عِنْدَنَا
 لَقُلْنَا تَرْحُزْخَ لَا قَرِيْبًا وَلَا أَهْلًا

بَلَّغْنِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنَّ عَقْرَبَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ
 بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعْرِهَا أَنْحَى نُورُهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورُهُ وَأَنَّهُ
 أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِتْنَاءَ ظَنِّهِ
 وَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأُسْخِيزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ
 بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِنَابٌ لَا يَنْعَدِي النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا
 وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشُّفَّةَ وَسَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِنَابُ
 لِحْظَةٍ كَعِتَابِ حِجْظَةٍ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّنَا هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى

صَارَ أَمْرًا وَتَأَبَّطَ شَرًّا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا
وَسُجَّانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أُسَيْمُ بَارِقَتَهُ وَأَسْتَجْلِي
صَاعَتَهُ وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَالْعَجَبِيُّ عَلَيْهِ لَكِنْ مِنْ بُلِي
مِنْ الْأَعْدَاءِ بِبَيْتِ مَا بُلِيْتُ وَرُمِي مِنَ الْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ
وَوَقَفَ مِنَ التَّوْحِدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَعِكَ مَشْتُومًا
وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِقْرَارٌ بِمَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أُسْتَقِيلَ
لَبَسَطْتُ فِي الْإِعْتِذَارِ شَاذِرًا وَأَنَا وَدَخَلْتُ فِي الْإِسْتِقَالَةِ
مَبْدَأًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكَ آخِرَهُ وَلَعَلَّ
السَّيِّئَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَيْدَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنَ الْإِعْتِذَارِ بِمَا فَعَدَّ عَنْهُ
الْقَلَمُ فَنِعْمَ رَأَيْدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ

فصل

في المَدْحِ وَالشُّكْرِ

كتب أحمد بن مكرم إلى أحمد بن المديني

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَ آتِكَ تَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا
أَنْهَوْا إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ وَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُواكَ

وَقَفُوا دُونَكَ فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَّا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلْنَا مِنْ
يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيَقْدِمُهُ اخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ
مُوافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتب بعضهم

إِنَّ مِنَ النِّعَمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّهِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ
وَلَا يَأْمَنُ الْقَصِيرَ وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْقَاهُ نَقِصَةُ الْكُذِبِ وَلَا يَنْتَهِي
بِوَالْمَدْحِ إِلَى غَايَةِ الْإِوْجَدِ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتب آخر إلى بعضهم

إِنِّي فِيهَا أَنْعَاطِي مِنْ مَدْحِكَ كَأَلْخَبِيرٍ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ
الزَّاهِرِ وَالنَّهْرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِقٍ
وَأَيُّنْتُ أَنِّي حَيْثُ أَنْتَ بِي أَمُولُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ مُقْصَرٌ
عَنِ الْغَايَةِ فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ
وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان المهداني إلى الشيخ الإمام أبي
الطيب سهل

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَّاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى
مِنْ خُطْبٍ وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ وَأَخْلَفَتِ السُّيُوفُ وَالنِّقَتِ

الْجَمُوعُ وَظَفِرَ مِنْ ظَفِيرٍ وَخَسِرَ مِنْ خَسِيرٍ كُنْبِي اللَّهُ فِي
 الْأَعْلِينَ مَقَامًا ثُمَّ أَلْهَمَنِي الْإِمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ الْإِلَادِ
 وَالْإِفْلَاحَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدِّفَاعَ عَنْ
 خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِمَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّيَاسُ
 فَلَمْ تَجْزَعْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النَّفُوسِ وَلَمْ تُخْزَنْ
 لِدَهَابِ الْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
 عَرَصَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْجِعَ الْحَمْدِ وَمَشْرِعَ
 الْعَجْدِ وَمَطْلِعَ الْجُودِ وَمَنْزِعَ الْأَصْلِ وَمَشْعَرَ الدِّينِ وَمَفْرَعِ
 الشُّكْرِ وَمَصْرَعِ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
 خَلَفَ بْنَ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ
 سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَتَدْنَاهُ كَأَنَّا أَفْرَضْنَاهُ هَذَا الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَكَأَنَّمَا سُمِّيَ خَلْفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلْفًا
 وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضِيقَ عَلَيْنَا الْعَالَمَ
 وَيَبْغِضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبَسَنَا سَجِسْتَانًا وَقِيدَنَا
 الْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْجِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَحْجِيلًا
 وَكَأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجْعَلَ هَذَا الْمَلِكُ
 ثَوَابَهُ وَكَأَنَّ هَذَا الْمَلِكُ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجْعَلَ هَذَا الْعَالَمُ

عِقَابُهُ فَهُوَ الْجَعْرُ يَبْشِي عَلَى رَجُلَيْنِ وَالْعَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
 الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَتَنَسَّمُ وَالْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَالْجَعْرُ يَتَكَلَّمُ
 فَلَمَّا التَّقِينَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ بِيَدِي فَرَشًا وَتَقَشْتُ التُّرَابَ
 بِنَفْيِي تَقَشًا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتِ كَادَتِ الْأَرْضُ لَا تَسْعَاهَا
 وَكَادَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفٌ بِلُقْيَائِي وَفُودَ الْكَلَامِ
 كَمَا زَيْفَتْ بِلُقْيَاءِ مُلُوكِ الْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ
 جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
 أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مُلُوكًا فِي أَخْلَافِهِ مَثٌ وَلَمْ أَلَا فِيهِ
 أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدْتُ قَبْلَ جُودِهِ فَحَرَسَ اللَّهُ
 سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَعَّ أَرْزَاقِي فَضَبَّقَ أَخْلَافِي وَأَغْلَى
 ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعُنِي بَلَدٌ وَهَذَا
 وَصَفٌ إِنْ أَطْلَعْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالُ وَأَسْتَغْرِقَ
 الْفِرْطَاسَ بَلِ الْأَنْفَاسَ وَأَسْتَفِدَّ الْأَعْمَارَ بَلِ الْأَعْصَارَ
 وَلَمْ يَبْلُغِ الْعِشَارَ وَأَفْنَى الْأَفْلَامَ بَلِ الْكَلَامَ وَلَمْ
 يَبْلُغِ النَّهَامَ

وكتب الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتُهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتُهُ

عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا
وَرَمَقِي أَمْسَكَتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ الدَّلْفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَدِّثْتَنِي إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةَ مِنَ الشُّكْرِ
يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوَصْفَ
وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ
رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ فَخُنْ نَجَابًا
مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جَهْدُ الْمُجْتَهِدِ

وكتب ابو النضر الميكالي الى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِكَاءَهُ وَقَلَدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ
فَهِيَ هَاتِ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ
يَسِيرَ إِلَّا نَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ تَوْبٌ لَا يَجْلَى إِلَّا
بِذِكْرِ طِرَازِهِ وَأَسْمٍ لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ مَجَازُهُ وَلَوْ أَنَّ هَاجِرَ
مَلِكٍ رَفِي بِأَيَادِيهِ وَأَخْجَزَ وَسْعِي عَنْ حَقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ
خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يَجَازِ بَنِي زِمَامِهِ وَعِنَانَهُ
لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ
فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَا بَنِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوِي عَلَى

أَمَدَ النَّصَائِلِ وَيَسْنَمُ ذِرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا
يَدْعُ فِي الْعَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ
عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِتَكُونَ الْعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي
مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ
وَشَرِكِهِ

فَصْلٌ

فِي الْعِبَادَةِ

كتب بعضهم الى صديقه

كَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَغْنِيَامِ بِعِلَّتِكَ حَالُ
الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَني نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا
بَلْ أَجْمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِهَا
يُؤَلِّمُكَ فَاسْأَلِ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ
يُخْصِنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَكِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا
أَغْفَلَ قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي قَحْصًا عَنْ خَبْرِكَ وَمُحِبِّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَنْقَسِمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ
تُصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقَتُكَ
كَتَبْتُ مُهْتَئِئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْنِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا خَيْرَ السَّلَامَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ فَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ
عَنْ حَوْبَائِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ
لَأَتِي عَالِي بَعْلَتِكَ لِقَامَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ
بَادٍ فِي حَالِي لِعَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ

وكتب ابن الرومي الى بعضهم

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ
بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفَدَ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ وَجَعَلَ
عَلَيْكَ مَاحِيَةً لِذُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لِنَوَائِكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي الى تلميذه

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي
أُطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عَلَيْكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى
 الْآخِرَى شُكْرًا وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوِلُ عِيَادَتِكَ
 فَأَحْمِلْتُ عَنْكَ بِالنَّهْدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عَلَيْكَ
 فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ فِسْمٌ كَقِسْمِكَ وَمَرَضَ قَلْبِي
 فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَوَيْتُكَ عَلِيلًا لَأَنْصَرَفْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدٌ عَلَى
 أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَسُو
 عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي
 فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي
 أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ الْخُذُورَ
 وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبَكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَمَنَّ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ

فَصْلٌ

فِي الْأَمْنَاءِ

كتب شعيب بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النبروز
 أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنْ

الْعُمْرِ مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقَّ نِعْمَةٍ
 حَتَّى يَجِدَّ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا
 عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . إِنِّي تَصَفَّيْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ
 يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالْتَمَسْتُ النَّاسِيَّ بِهِمْ فِي
 الْإِهْدَاءِ . وَإِنْ قَصَرْتُ بِي أَمْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
 إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مِلْكٌ لَكَ لَأَحْظُ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
 بِطَرَفِي إِلَى كَرَامٍ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
 مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَمْ أَهْدِ مَالَكَ إِلَيْكَ . وَنَزَعْتُ إِلَى مَوْدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
 خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّةً
 أَنِّي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا وَلَا لَطْفًا . وَلَمْ أُمِيزْ
 مَنَزَلَةَ مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصِرًا
 عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْاعْتِرَافَ
 بِالْتَّقْصِيرِ عَنِ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْتَّقْصِيرِ عَمَّا
 يَجِبُ لَكَ بَرًّا أَوْصَلَ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ

إِنْ أَهْدِ مَا لَا فَهْوَ وَاهِبُهُ وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
 أَوْ أَهْدِ شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَمَنٌ بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
 وَالشَّمْسُ تَسْتَفِينِي إِذَا طَلَعَتْ أَنْ تَسْتَضِيءَ بِسَنَةِ الْبَدْرِ

وكتب ابراهيم بن المهدي الى صديقه له

لَوْ كَانَتْ أَلْتَحْفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَا خُفَّ بِنَا
أَدْنَى حَقُوقِكَ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرِ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ
الْأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فصل

في التهناني

كتب ابو الفضل بن العبد الى عضد الدولة بهتة بولدين

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَهَيَّيْدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوَطَّيْدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَأَهُ بِهَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ
مِنْ تَوْفَرِ الْأَعْدَادِ وَتَكْثُرِ الْأِمْدَادِ وَتَشْمَرِ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ
مِنَ التَّجَابَةِ فِي الْبَيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكُرَمِ فِي الْأَبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَهُ مِنْ مَسْرَّةٍ
وَمُتَّجِدٍ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفٍ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسَحٍ
فِي أَمْدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بَشَّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَنْبَعَا مِنْ نُورِهِ وَأَسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَا سِرِّيهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَاثِمَيْنِ وَوَرُودَهُمَا تَوَاقُفَيْنِ
بَشِيرَيْنِ بِنِظَاحِ النِّعَمِ وَتَوَاقُفِ الْقِسَمِ وَمُؤَذِّنَيْنِ بِتَرَادُفِ
بَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفُقَ الْعِلَاءِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ النِّمَاءِ
إِلَى غَايَةِ تَفُوتِ غَايَةِ الْأَخْصَاءِ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الممناقي إلى طاهر الداودي بهشة بملود
حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الْأَقْبَالَ وَعَدَهُ وَوَافَقَ الطَّالِعُ سَعْدَهُ
وَإِنَّ الشَّأْنَ لَفِي مَا بَعْدَهُ وَحَبْدًا الْأَصْلُ وَفَرَعُهُ وَبُورِكَ
الْغَيْثُ وَصَوْبُهُ وَأَتْبَعَ الرُّوضُ وَنَوْرُهُ وَحَبْدًا سَمَاءً أَطْلَعَتْ
فَرَقْدًا وَغَايَةً أَبْرَزَتْ أَسَدًا وَظَهَرَ وَافَقَ سَنَدًا وَذِكْرٌ يَبْقَى
أَبَدًا وَمَجْدٌ يَسْمَى وَلَدًا وَشَرَفٌ لِحِمَةٍ وَسَدَى
أُنْجِبَ كُلٌّ مِنَ الْوَدَّيْهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
فَالْفَيَاهُ شِهَابَ ذَكَاءٍ وَبَدْرَ عِلَاءٍ

وَوَجَدَاهُ أَبْنَى جَلَا أَيْضَ يُدْعَى الْجَفَلَى
لِيُنْلِيهِ أَوْ لَا فَلَا إِذَا النَّدِي أَحْفَلَا

وكتب بعضهم بهي صديقاً له بالقدم من سفر

أَهْنِي سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا سَرَّ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غِيَّةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغِيَّةِ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكِرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ

وكتب بعضهم غيثاً بالنبروز

أَقْبَلَ النَّبْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ الْإِلَهِ اسْتَعَارَهَا مِنْ
شَيْمَتِهِ وَمُبْدِيًا حِلِيَّةَ الْإِلَهِ أَخَذَهَا مِنْ سَحْبَتِهِ وَمُسْتَضْحِيًا مِنْ
أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَسَاهُ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ
أَنْظَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ
بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَمِلَّ الْعُمُرُ وَيَسْتَفْرِقَ الدَّهْرُ فَلَا زَالَ
يَلْبَسُ الْأَيَّامَ وَيُجْلِبِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ
سَعِيدٌ وَلَا زَالَ أَمْرًا نَاهِيًا فَاهِرًا عَالِيًا تَهْبِي الْأَعْيَادُ
بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتُسْتَفِيدُ الْعَاسِينَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

فصل

في الاستزارة

كتب الوزير الكاتب أبو الفضل بن حمداي إلى عبد الرحمن بن طاهر
مَحَلَّكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي طَلَبِ الْمَجَوانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ

الدَّارُ وَعِيَانُكَ فِي أَحَنِّ الصُّلُوحِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ
 فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِمِثْلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ
 نَارِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ الْحَظِّ فَلَا عَائِدَةَ
 أَسْبَغُ بَرْدًا وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرَدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِأَخْفُوفٍ
 إِلَى مَانَسٍ يَنْبِثُ بِمُشَاهَدَتِكَ النَّيْمَ وَيَتَّصِلُ بِمَحَاضِرَتِكَ
 أَنْظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
 الْأَمَالِ وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقْتُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّفِي وَتَبَيُّنِهِ مِنْ
 تَطْلُعِي وَتَوَفِّي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِزْتِياجُ بِأَسْتِحْكَامِ التَّحَقُّقِ
 وَاعْتَرَضَ الْإِنْتِزَاجُ بِأَرْقَابِ الصَّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَّ اللَّهُ سَعْدَكَ
 بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا
 وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا
 وَحَمْدًا لَا زِلْتَ مَهْنًا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ مُسَوِّغًا أَجَلَاءَ
 غُرِّ الْأَمَانِي الْمُتَهَلِّلَةِ بِمِنْه وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط إلى صديق له

يَوْمَنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمٌ قَدْ تَقَبَّتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ
 وَذُهِبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْمُدَامِ وَنَحْنُ مِنْ فِطَارِ الْوَسْمِيِّ
 فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ نَضِيرِ النُّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النُّصَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ
 بَيْنَ زَهْرِ الْبَشَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ نَغَمَاتِ
 الْأَطْيَارِ وَمِنْ سَفَاةِ الْكُؤُوسِ وَمُعَاطِي الْمَدَامِ بَيْنَ
 مُشْرِقَاتِ الشَّمُوسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَأَيْكَ فِي مُصَافَحَةِ
 الْأَقْفَارِ وَمُنَافَحَةِ الْأَنْوَارِ وَأَجْنِلَاءِ غُرْرِ الطُّبَاءِ الْجَوَارِي
 وَاتِّقَاءِ دُرَرِ الْغِنَاءِ الْحِجَارِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وكتبه صاحب ابن عباد الى صديقه له

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٌ إِلَّا مِنْكَ
 قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عَيُونُ النَّزْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبَنَفْسِ
 وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأَتْرِجِ وَفُتِنَتْ فَاَرَاتُ النَّارِجِ وَأَنْطَلَقَتْ
 أَلْسُنُ الْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الْأَفْدَاحِ
 وَنَفَقَتْ سُوقُ الْأَنْسِ وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَأَمَدَّ سَحَابُ
 النَّدَى فَجَبَانِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ فَقَدَأَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصِفُو
 إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يُمْنَاكَ وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى
 تَعِيَهُ أَذْنَاكَ فَخُدُودُ نَارِجِهِ قَدْ أَحْمَرَتْ خَجَلًا لِإِبْطَائِكَ
 وَعَيُونُ تَرْجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْفَتَائِكَ

وكتب ابو الطيب المتنبي الى صديق له كان يزوره ايام اعتلاله
وانقطع عنه عند ابلاله

وَصَلَّنِي وَصَلَّكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعَنِي مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا
تُكْذِرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحِبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

فصل

في الوصاء

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ
مَوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مَكْفَأَتِهِ
فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا يَعْرِفُ بِهِ مَوْفِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ
مَكْفَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلْتُكَ مَوْضِعًا
لِأَمْلِهِ وَرَأَيْتِي أَهْلًا لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أَفْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدِّقْ أَمْلَهُ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له

أَلَا يَأُمُّ أَيْدِكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجُعٌ لِي عَنْ صِحَّةِ وَفَائِكَ
وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صِدْقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حُوقِكَ عَلَيَّ

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مِيدَانِ الْهَيْبَةِ وَتَنَازَعُوا
خَصَلَ الْأَنْسِ وَالْتَمَتِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يُذَكِّرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ تُجَلِّيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مُحَبَّةِ
مُرَبَّاهٍ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ بِالْدُعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَيْرُ
سَعْيِكَ لِغُلَّانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيفَائِكَ حَقَّ أَحَقِّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَنْتَظِلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطَوِّى صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِي فِيهَا أَمْسٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ
الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا قِسْمٌ فَذَكَرْتُكَ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكُرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ
بِذَلِكَ الْخُرْعِ عَنِ التَّلَطُّحِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضُنَائِيهِ عَنْ تَخَالِطِ الْأَيَّامِ وَصِيَانَةِ
لِحَالِهِ عَنِ مُدَاسَسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُتَسَبِّحَةً بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعِيدُ لَكَ حُرَيْنِ وَجَدِيرَيْنِ مَهْلِكَيْنِ عَلَيْهِ

سَحَابُ عَيْنَيْكَ وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُوَ
عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحِلِهِ عَسْكَرُ
الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةً
يَهْدِي إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةٌ تَقْقَأُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ
بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ يَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي فَمَا
ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْفِعُهَا مِنِّي أَمْ تَرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا
أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ
وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدَّانَا إِلَى غَيْرِنَا
فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا

فصل

في النكوى

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طُوبى
أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِيهَا
بَلْ حَالِي وَحَالُ الْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْنَعَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا أَشْهَوْنَا
وَغَابَ أَبُو عَدْرِو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهُ
وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنَبَةِ إِلَى كَنْفِ
رَحِيبٍ وَجَنَابِ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلِ شَائِعٍ
وَوَجْهِ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجَنَّتِهِ
تَلْعُ أَثَارُ الْكَرَمِ يَنُورُ أَسَارِيرِهِ وَتُعَرِّفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِي
تَبَاشِيرِهِ وَفَمٍ يُبَشِّرُنِي بِإِنْسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرَنِي بِكَلَامِهِ
وَيُحْيِيَنِي بِالنَّجْمِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا
رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بُخْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِحِ
سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بَنِيْلُ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي أَلْجَمَالِ
وَعَنْ يَسَارِي أَلْجَلَالِ فَأَغْدُو إِلَى بَابِهِ يَدْمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ
وَأَرْوُحُ عَنْهُ فَيُشِيعُنِي الشُّكْرُ وَالْدُّعَاءُ وَأَحِيلُ حَوَائِجِي مِنْهُ
عَلَى جَبَلِ الْحُجُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تُثْقَلُ عَلَيْهِ
الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الْأَسْتِقَاءُ
وَلَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَآءُ وَلَا يَرَى قَعْرَهُ وَلَا يَدْرُكُ غَوْرَهُ
وَأِنَّمَا يَصِيرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ
صَوْتِ رَحَى الْأَصْرَاسِ مَنْ وَلَدَ فِي طَالِحِ السَّخَاءِ وَغُذِيَ

فِي حُجُورِ الْكُرْمَاءِ وَفُرِعَ سَمْعُهُ مِنْذُ صَبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأَدْبَاءِ
 وَالشُّعْرَاءِ وَمُرْنٍ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
 وَالثَّقَلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهَمًا بَارِزًا
 حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ أَمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَسْتِ
 وَوُجُوهُ مَطَالِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَيْسَتْ رَمَنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ
 الشَّيْخِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي الْخَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِي الْخَامِلُ
 وَسَكَتَ لِسَانِي الْقَائِلُ وَفَتَرْتُ فُتُورَ النَّاجِرِ بَارَ مَنَاعِهِ
 وَغَابَ مُبْتَنَاهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ
 مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ وَقَضْلَهُ
 وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَبَيْتُهُ مَرْثِيَةَ الْأَمْوَاتِ
 وَلَاقِمْتُ عَلَيْهِ مَاتِمَ الْمَمَاتِ وَمَحَوْتُ أَسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ
 الْحَيَاةِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخَرَجِ مَنْ لَا أُطْرِئُهُ بِجُرْمِهِ
 وَلَا أَتَنَاوُلُهُ بِطَرْفِ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ
 حَسَدَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَامَّةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ الرَّعِيَّةِ
 وَأَوْقَعَنِي عَلَى حِسْرِ قُدَامَةِ الْخُسْرَانِ وَخَلَفَنِي الْهَوَانُ وَجَعَلَنِي
 بِدَرِيهِمَاتٍ جُمِعَتْ بِتَقَحُّمِ الْمَمَالِكِ وَاخْتِرَاقِ الْمَسَالِكِ
 وَالْمَمَالِكِ وَدَنَائِيرِ قَطْعَتِ الْفَنَارِ وَخَاضَتِ النُّجَارُ

وَنَاطَحَتِ الْحَوَادِثُ وَالْأَقْدَارُ فَإِنْ بَدَّلْتُهَا أَبْرَزْتُ وَفَرًّا
طَالَمَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا أَبْذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْبَبْتُ عَلَى الْجَمَالِ التَّجَمُّلَ وَأَوْثَرْتُ الْبَذْلَ
عَلَى التَّبَذُّلِ وَأَنْشِدُ شِعْرًا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضِ وَمَا أَيْسَرُ دَوَاءَ هَذَا الدَّاءُ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِي الْعَاصِيَةَ
وَنَابَعَنِي رِجْلِي الْآبِيَةَ فَدَخَلْتُ الدِّيُونَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ
وَفَتَحْتُ جِرَابَ النِّفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ الْحِفَظِ وَالْوَفَاءِ
وَلَكِنِّي أَلْظَرُّ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنِي
مِنْ أَنْ أَنْظُرُ إِلَى هَذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ
الْبَدْرِ وَإِنِّي لَا غَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ
وَأَبْجَلُ بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يَبْجَلُ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَعِجِي
إِعْيَانِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ
لَا أَبْتَلَانِي اللَّهُ بِعَجَائِلِ الْغَيْبَةِ وَلَا أَفَاقِمَنِي فِي مَقَامَاتِ
الْغُيْبَةِ وَالْمُخْبِرَةِ فَإِنْ أَبْتَلَانِي بِذَلِكَ وَجَدَنِي ضَيِّقَ سَاحَةِ
الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْمُبَارَاةِ فَلَيْلُ الْمُدَارَاةِ
هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرَجٌ أَرْتَجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَنْجِمُ فِيهِ وَهَلْ بِحُرْكَ لَفْظَةٍ مِنَ الْفَظَاهِ أَوْ لِحْظَةٍ

مِنْ أَمْحَاطِهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا تَصَبَّ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى
عَرَضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنْ حَاجَتِي إِلَى الشَّيْخِ
فِي هَذَا الْخَرَجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَسْتَصْغِرُ مِنْهُ بِسِيرًا كَمَا لَا
أَسْتَغْطِمُ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخُرَّ يَسَعُ الدَّقِيقَ يَنْطِئُهُ
وَالْحَبْلِيلَ يَهْمَتُهُ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ
يَسْرِيَ فِي السُّمِّ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيَّ التَّرْبَاقُ الْبَطِيءُ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي تَقْدًا وَدَوَائِي وَعَدَا

وكتب الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدبَّاغ إلى ابن حسداي
كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَدْرِيهِ غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلَكِنِّي
غَيْرُ شَاكٍ مِنْ آلَمِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةٍ مِنْ سِهَامِهَا
فَالنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَعُ وَالنَّالِمُ بِهِذِهِ أَمَحَالَةٍ قَدْ أَرْتَفَعَ
كَذَلِكَ التَّقْرِيعُ إِذَا تَبَاعَ هَانَ وَالنَّخْبُ إِذَا أَشْتَدَّ لَانَ
وَالْحَوَادِثُ تَعَكِّسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي أَشْتَدِّهَا
وَتَزَايَدَتْ عَلَى أَمَادِهَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى إلى أهله وهو مهزوم مع مروان
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَخْفُوفَةً بِالْكَرْهِ
وَالسُّرُورِ فَمَنْ سَاعَدَهُ أَلْمَحَظُ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَصَاهُ

بِنَاهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ
 أَذَقْتَنَا أَفَاقِيْقَ اسْتَحْلِيْنَاهَا ثُمَّ جَمَعَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحْنَا مُوَلَّةً
 فَمَلَحَ عَذِبُهَا وَخَشُنَ لَيْبُهَا فَأَبْعَدَتْنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنَا
 عَنِ الْأَخْوَانِ فَالْدَارُ نَارِحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كُنْتُمْ
 وَالْأَيَّامُ تُزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ تَمَّ
 الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَا وَإِنْ بَلَغْتَنَا
 ظَفَرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ بَلِيَكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْأَسَارِ
 وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةَ جَامِعَةٍ فِي دَارِ آمِنَةٍ
 تَجْمَعُ سَلَامَةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي من رسالته

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ
 بِأَكْثَرِ مِمَّا مَتَعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَتَفَ فِي نَزْعِ مَا
 أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَذُقْنَا حَلَاوَةَ الْأَجْمَاعِ حَتَّى جَرَعْنَا مَرَارَةَ
 الْفِرَاقِ وَلَمْ يَمْتَعْنَا بِأَنْسِ الْإِلْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرْنَا رَهْنَ
 الْتَلْهَفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوهُ

وَيَسُرُّ وَيَجْلُو وَيَهْرُ وَلَا أَيَّاسٌ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فِي إِبَاحَةِ
صَنْعٍ يَجْعَلُ رُبْعَهُ مُنَاجِي وَيُقْصِرُ مَدَّةَ الْبِعَادِ وَالْتِرَاجِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانُ بَعَيْنٍ رَاضٍ وَيُقِيلُ إِلَى حَظِي بَعْدَ إِعْرَاضٍ
وَأَسْتَأْنِفُ بَعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذَبَ الْمَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَا مُونَ
الْأَفَاتِ وَالْغَوَائِلِ

فصل

في التعازي

كتب أبو الفضل بديع الزمان المهداني إلى أبي عامر عدنان بن محمد الضبي
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ذَلَّذِلَهُ أَنْجَاحٌ بِآخِرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَبَلَنِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَحْسَنُ مَا فِي الدَّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو الْجَفَلَ إِذَا سَاءَ وَيَخْصُصُ بِالنِّعَةِ إِذَا سَاءَ
فَلْيَنْفَكِرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشْمَتَ وَلْيَنْظُرِ
أَيُّ نَسَانٍ فِي الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَالْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ
فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُمُرِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ
أَمْ لِنَدِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيرًا لِأَمَلِهِ

أَمْ لِحِيلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّاهِلْ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ بِجَبَا جَبَرًا
وَبِهَيْلِكَ صَبْرًا وَلَيْتَأَمَّلِ الْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَدْلًا
وَالْعَاقِلُ مَنْ رَفَعَ مِنْ جَوَابِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِهَا سَرٌّ
لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْزَنَ فَلْيَنْظُرْ بِمَنَةِ
هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيَعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هَذِهِ
الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هَذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيبِهَا صَدْرًا لَا
يَمْلَأُهُ فَرْحًا وَلِبُوسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرْحًا وَصَحْبَ الْبَرِيَّةِ
بِرَأْيِي مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَنِيَّةِ رَحَى وَلَقَدْ نَعِيَ إِلَيَّ أَبُو قَبِيصَةَ
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرْبَهُ فَعَرِضْتُ عَلَيَّ أَمَالِي فَعُودًا
وَأَمَانِي سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودُ الشَّيْخِ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ
وَسُرَّ الشَّدَائِدُ مَا يُضْحِكُ وَعَضَضْتُ الْأَصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَمَنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
الشَّيْخُ الرَّئِيسُ خَطَبَ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمَرَ قَدْ خَسُنَ
حَتَّى لَانَ وَنُكِرَ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالْدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا وَخَبِثَتْ حَتَّى صَارَ أَقْلُ
عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّهْمُ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكِ مَا
فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرُ التَّبَعِ تَعَلَّمُوا الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ
وَالْجَمِيلَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَلَا تُحْنُهُ عَلَى الْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ
وَلَا تُرْغِبْهُ فِي التَّجْزِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ فَلْيَرْفَعْ فِيهَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

والمصحح يعزي احد اصدقائه بنسب له توفي ايام الوباء

أَشْبَاحُ تَرْوُحٍ وَنَجْمٍ وَآجَالٌ تُهْمِي وَتَغْنِي وَأَنْفَاسٌ
تَقْطَعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنَ وَأَسْفَاً وَعِبْرَاتٌ تَنْقُطُ وَجَدًّا وَلَهْفًا
وَمَا عَمَدَتِ الْأَقْدَارُ إِلَى اسْتِزَافٍ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتْ
الْأَيَّامُ إِلَّا بِلَامٍ مُوجِعٍ إِنَّهَا فِي سَنَةِ الْخَلْقِ كَوْنٌ بِلَيْهِ زَوَالٌ
وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْخِلَالٌ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مُقْدُورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ
يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا
وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِ بِكَ لَوْ لَا مَا يُعَايِنِي
عَلَى الْعِزَاءِ مِنْ كَيْدٍ حَرِيٍّ وَمَقْلَةٍ شَكْرِي وَزَفَرَةٍ تُثْرِي
نَمْ وَدِدْتُ أَنْ أُسَبِّحَكَ لَوْ لَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِي
الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْبَبْتُ لِبَالِي بِالنُّوحِ حَتَّى مَا يَأْتِجُهُ سَهَادٌ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءَ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحَ
عَلَى صَفَرِ يَدَيَّ إِلَّا مِنْ كَيْدِي فَإِنَّ الْأَقْدَارَ سِيَّاهُ إِذَا
أَنْطَلَقْتُ لَمْ تَرُدْ وَإِنَّ الْمَنْطَلِعَ إِلَى الْغَايَةِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ
الْكَمَدِ وَإِنَّ الْمُخْطُوبَ لَهِيَ هِيَ وَإِنَّمَا تَنْفَاوْتُ عِنْدَ الْمَجْلَدِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْحَزْوِعِ ثَقِيلَةٌ

وَضَخَمَ الصَّفَا عِنْدَ الصَّبْرِ خَفِيفُ

وَأِنِّي لَا زُجُوفِي عَقْلِكَ وَحَلِيمِكَ أَنْتَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ
الْعَزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ
وَالنَّاسَاءَ فَلَقَدْ قَلَبْتَ الْقُلُوبَ عَلَى جَهْرَاتٍ لَا تَذَرِي أَيُّهَا
أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشَّكْوَى
بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظْلُمَ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
الْمَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةَ لِلْعُيُوفِ وَجَبْرًا لِلْحَاطِرِ
الْحَزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وَالصَّحُوحُ أَيْضًا إِلَى صَدِيقِي لَهُ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ بَنِي الْبُوَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ
أَنْسَبَانُوهُ وَعَزِيذُهُ بِنَسَبِهِ لَهُ

وَرَدَّ كِتَابُكَ تَجَادِبُهُ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعَزِيَةٍ وَيَضْرِبُ
عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شُجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقَّ الْأُخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيَجْمَدُ الْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ الْبَلَوَى بِكَاسَيْنِ فَمَزَجَ عِبْرَةً بِعِبْرَةٍ
وَنَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى الْعِزِّ سَبِيلًا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي الْأَنْجُونُ
وَمَا تُبِيرُ الشُّجُونُ وَأَمْرُ اللَّهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالْدَمْعُ
لَا يُسَبِّغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السِّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ

فَحْشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَفَرَّعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَأَى مَا نَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نَكْرَهُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَإِنْ
كَانَ أَحَدَ الْمُهْرَيْنِ وَالْإِنْجَاءَ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نِدَاوِي
بِهِ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الدَّائِمِينَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَكِيلًا

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى كثير بن احمد يعزيه بابن له

نَحْنُ مَعَاشِرُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ وَمُتَحَمِّلِي أَعْبَاءِ نِعَمَتِهِ وَالْمَتَسَبِّبِينَ
بِسَمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِثَتْ فَرَّائِحُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَاهَا بِجُجَالَتِهِ وَغَسَلْنَاهَا وَضَرَ الْغَيْرِ بِاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَمُسْنَأْنَا أَنْفُسَنَا بِمَا نَرَاهُ وَتَعَلَّمْنَاهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِطَاقَتِهِ ثُمَّ

لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتْ الْحَالُ هَذِهِ فَمِنْ الْحَالِ أَنْ نَبِيعَ
عَلَى الشَّيْءِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَحْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ
وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ
وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بِذَلِكَ كَلَامِهِ مِنْهَا أَبْرَعُ وَبِدَاءُ
تَوْفِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبْدَعُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْمُحِبِّ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ
وَقَلَمُهُ بِمَا يَتَرَجَّمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبِّرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ
وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِيبَهُ فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ
أَنْ يُشَارَكَهُ فِي أَيَّامِ الْغُيُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ
فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى الْحَالَيْنِ وَأَثْبَتَ اسْمَهُ فِي
جَرِيدَةِ الشَّرْكَاءِ الْمُسَاهِمِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ
فَاغْتَمَمْتُ بِهَا غَمَّيْنِ وَتَفَذْتُ إِلَى سَهَامِ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ
أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهِيَ أَنِّي أَغَارُ عَلَى هَذِهِ الْجَنْبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَفْذَ فِيهَا رَمِيَّةُ الزَّمَانِ
أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدُ مِنْ أَيْدِي الثَّقَصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي
عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبَكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ
بِالْإِذَاعَةِ وَالِاشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا
وَأَنَّمَا الْقَوْمُ بِزِيَاةِ الْمَبَائِثِ وَالْمَوْتُ خَرَقَ رَفْعَهُ النَّسْلِيَّةُ

وَالْتَعَزُّيَةُ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ

لَعَلَّ الْخِدَارَ الدَّمْعُ يُعْتَبِرُ رَاحَةً

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِي الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ

الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوِّذُ بِهَا وَجْهَ الْجَمَالِ فَلَا تَنْ

تَكُونِ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْأَحْنَةِ مَنَّةً وَمَزَجَ بِاللَّزْجَةِ

فُرْجَةً فَسَدَّ عَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسَا وَزَهَةً وَكَفَى

مَوْوَنَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَحِجَّةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ

حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ

وَالِدَةً وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُقِيلِينَ الْعَبْدُودِينَ فَإِنَّ

الدَّهْرَ إِذَا سَاءَ هُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَثِيرِ

وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَشْهُورِ صَانِعُهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ

وَالْمَدَائِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّهَا تَكُونُ مُحْتَمَةً صَافِيَةً صِرْفًا وَخَالِصَةً

بِحَتْمَا وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَئِنَّ الزُّبُونَ وَمِنَ الْمَغْبُوتِ وَأَنَا

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَاةَ لَوَالِدِيهَا فَرَطًا وَأَجْرًا

وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَجْشُرَهَا شَيْعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِيهِ وَالِدِيهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضَ
عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَالَهَا سَوِيَّ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ
وَالْعِرْقِ لَيْسَتْ فِي الشَّيْخِ فِي يَوْمِهِ أَجْرُ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ
جَزَاءُ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ
مِنْ طَرَفِي الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةً
حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النُّصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا
فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مُسْتَطَرَفَةً وَقَائِدَةً مُسْتَجِدَّةً
مُسْتَأَنَفَةً حَتَّى يَشْتَغَلَ بِأَلْتِهَائِي عَنِ التَّعَازِي وَبِالْمَدَاحِ
عَنِ الْمَرَانِي

وَكُتِبَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَجِي عَنْ مَرْوَانَ إِلَى هِشَامٍ يَعْزِيهِ بِامْرَأَةٍ
مِنْ حُظَايَاهُ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْنَعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْسَبِيهِ وَقَرِيبَتِهِ
إِمْتِنَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللَّهِ
وَعَارِيَتُهُ قَبِضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَةُ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي
الْمُقَلَبِ وَأَرْحَجَ فِي الْهَبْرَانِ وَأَسْنَى فِي الْعَوِضِ فَأَتَحَمَدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتب ابو اسحق الصائغ الى محمد بن العباس يعزیه بطل
 الدنيا اطل الله بقاء الرئيس اقدار ترد في اوقاتها
 وقضايا تجري الى غاياتها ولا يرد منها شيء عن مداه ولا
 يصد عن مطلبه ومنه فمب كالسهم التي تثبت في
 الأغراض ولا ترجع بالاعتراض ومن عرف ذلك
 معرفة الرئيس لم يأسر عند الزيادة ولم يقط عند
 المصيبة وأمن أن يستخف أحد الطرفين حكمه ويستنزل
 أحد الأمرين حزمه ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة
 قبل نزولها ويأخذ الأبهة للحالة قبل حلولها وأن
 يجاور الخبر بالشكر ويساور العنة بالصبر فتخبر فائدة
 الأولى عاجلاً ويستمرى عائدة الأخرى آجلاً وقد
 تقدم من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً الحديث
 سنا ما أرمض وأقض وأفلق وأمض ومسنى من التالم
 له ما يحق على مثلي ممن توالث أبدي الرئيس إليه
 ووجبت مشاركتي في المليم عليه فإننا لله وإنا إليه
 راجعون وعند الله من نخسبه غصنا ذوى وشهاً خبا
 وفر عادل على أصله وخطياً أنبتة وشجبه وإياه أسأل

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَنِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
 يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْيَنِينِ بِجُودِهِ
 وَمَجْدِهِ وَلَكِنْ كَانَ الْمَصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِثُ فِيهِ
 جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ تَزَهَّهُ بِالْإِخْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْأَنَامِ وَصَانَهُ
 بِالْإِخْضَارِ عَنِ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
 وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا تَقَى الصَّحِيفَةَ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءًا
 السَّاحَةَ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدْنَسْهُ التَّجَارِيرُ وَلَمْ تَعْلُقْ
 بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ فَذَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ دَفِيقَ الْحِسَابِ
 وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَالْحَقَّةَ بِالصَّادِقِينَ
 الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّاهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
 وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا أَخَارَ ذَلِكَ
 قَبْضُهُ قَبْلَ رُؤْيِيهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
 وَمُعَابَتِيهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَنْضَاعُفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحِمَاهُ
 مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَاقَفَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمُنْفَارَةِ وَكَانَ هُوَ
 الْمُبْتَقَى لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأَخْرَاهُ وَعَزِيْزٌ
 عَلَى أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوَّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوْفَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلَالَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
وَلَكِنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ وَالْمَنْحُ
الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنَفْعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ
أَغْنَاهُ الْإِسْتِصَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودَ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ
الْإِعْتِبَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى بَقِي الرَّئِيسِ الْمَصَائِبِ وَيُعِيدُهُ مِنَ
النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ وَتَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي
لَا يُرَامُ وَيُنْفِيه مَوْفُورًا غَيْرَ مُسْتَقْصٍ وَيُقَدِّمُنَا إِلَى السُّوءِ
أَمَامَهُ وَإِلَى التَّحْذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ
الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعْدَهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَانِي وَأَمَالِي

والمصحوح الى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَافِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرِ مِنْ
الْأَقْدَارِ بِفِتْنَةٍ لَمْ تَكُزْ عَلَيْهِ الرِّزْيَةُ إِذَا أَغْنَاكَتْ وَلَمْ
يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَفْدَةً وَهَبَةً
وَإِنَّ لِلْبَالِي كَمَنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي
الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا وَإِنَّمَا

الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي
 الْمَوْجُودِ وَلَا أَرِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ
 وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَّئَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ
 بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءَ فَأَذْهَلَهُ وَحَسَنِي مِنَ الْعَزِيزَةِ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
 مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنَ النَّاسِيَةِ مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالٍ
 مَنْ بِخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَفَنِي بِأَنْ أَقُولَ
 إِنْ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَاعًا عَلَى أَشْجَائِي وَنَكَأَ مَا تَمَائَلُ
 مِنْ فُرْحَةٍ أَحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ صَبَّرْتُ الدَّهْرَ إِلَى حَالٍ لَا
 تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أَبَالِي مَعَهَا بِسَلَمٍ وَلَا فِتْنَالٍ فَكُنَّا نَمَا
 إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُقِّدَنِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتْ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ
 عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعَزٌّ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ
 الْمُعْزِّينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَأَكْثَابِهِ
 وَهَذَا أَمْتَحَانُ الرِّجَالِ وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَامِ
 وَالْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُنْتَحَنُ وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
 وَالنِّطْنِ وَإِنْ الْأَحْزَانُ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافَهَا بِالْعِزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِالنَّاسَاءِ فَأَجْعَلِ الْآخِرَةَ أَوْلَى وَلَا تُبْلَغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولًا وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُقِيضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَنَا بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمٌ وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ قَدَّمَ
 عَفْوًا عَمِيها بِرَحْمَتِهِ وَلَطْفِهِ

فصل

في الخطب

خطبة للإمام علي

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلِزُومِ طَاعَتِهِ
 وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ
 يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ النَّعْبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُنْعَمُ
 لُحْجَ الْجِبَارِ وَمَقَاوِزَ الْفِئَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ الْأَنْجِبَالِ
 وَعَالِمِ الرِّمَالِ يَصِلُ الْغَدُوَّ بِالرُّوْحِ وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ
 فِي طَلَبِ مُحَنَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ
 بِنَفْسِهِ رَزِيئَتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَأَفَى الْقِيَامَةَ مُحْسُورًا أَيُّهَا الْأَلَاهِ الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَنَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَفْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ
حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا
يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيكَ إِلَى
فَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوَحِّشَةٌ كَفَعْلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ
وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ
وَبَنَى وَشَيْدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ
لَمْ يُمْتَعِ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْخُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتَا
تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَانَا وَأَنْتُمْ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسِيلِهِمْ
سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَافِبُوهُ وَاعْمَلُوا لِلْيَوْمِ
الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقُّ السَّمَاوَاتُ بِالْغَمَامِ وَتَطَابُرُ
الْكَتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالسَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمِئِذٍ تَرَكَ
أَقَائِلَ هَاؤُمُ أَقْرَأُ كِتَابِيَةِ أَمْ يَالْبَتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ نَسَأُلُ
مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتْهُ أَنْ يَقِينَا سَخَطُهُ إِنْ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

خطبة للحجاج حين ولّاهُ عبد الملك بن مروان العراق وامره ان

يخبر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ النَّبَايَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نِزَارٍ كَنْصَلِ السِّيفِ وَصَاحُ الْحَبِيبِ
 وَمَاذَا تَبَغَّبِ الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعَ أَشْدِي وَتُعْجِدُنِي مَدَاوِرَةُ الشُّؤُونِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
 بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَائِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
 وَرُؤُوسًا قَدْ أَتَمَّتْ وَحَانَ فِطَانَهَا وَإِنِّي لَأَصَاحِبُهَا
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامِ وَالْحِجَى تَتَفَرَّقُ
 هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَأَشْتَدِّي زِمْنًا

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَرِ

لَيْسَ بِرَاعِبٍ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

وَلَا بِجِزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍ

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلِجٍ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ

مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِي

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عِرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِي

الْأَخْلَاقِ لَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَتِفَمَازِ التَّنِينِ وَلَا يُقْنَعُ لِي

بِالشَّيْءِ وَلَقَدْ فَرَزْتُ عَنْ ذَكَاءٍ وَقَسَيْتُ عَنْ تَحْرِيبِهِ وَأَجْرَيْتُ
 مَعَ الْعَالِيَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَرَ كِنَانَهُ ثُمَّ عَجِمَ عِيدَاتِهَا
 فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ
 وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَ مَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ وَسَنَسْتُمْ سُنَنَ
 الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّهِ لَا تُحُونُكُمْ لِحَوِ الْعَصَا
 وَلَا فَرَعَنْكُمْ فَرَعُ الْمَرْوَةِ وَلَا عَصَبَكُمْ عَصَبُ السَّلَمَةِ
 وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبُ عَرَابِ الْأَيْلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ
 وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَاقَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ
 وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَفِيدُنَّ عَلَى
 طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعْنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ
 وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعْثِ الْمُهَلَّبِ سَفَكَتُ دَمَهُ وَأَنْتَهَبْتُ
 مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

وله أيضا بعد وقعة دهر المجاجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ
 اللَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشِّفَاهُ ثُمَّ
 مَضَى إِلَى الْأَنْفَاحِ وَالْأَصْوَاحِ ثُمَّ ارْتَنَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
 وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذْتُمُوهُ

دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
 وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةُ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةٌ أَوْ يَجْزِيَكُمْ
 إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيْمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَاِ حَيْثُ
 رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجَبْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
 تَنْسَلُونَ لِيَوَاذٍ وَتَنْهَرُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّوَايَةِ وَمَا يَوْمُ
 الزَّوَايَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُّكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبَرَاءَةُ اللَّهِ
 مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْأَيْلِ الشَّوَارِدِ
 إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَارِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ
 عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى غَضَّكُمْ السِّلَاحُ
 وَقَصَبَتْكُمْ الرِّمَاحُ وَيَوْمَ دَبَرِ الْجَمَاحِمِ وَمَا دَبَرُ الْجَمَاحِمِ
 بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ بِضَرْبِ بَزِيلِ الْهَامِ عَنْ
 مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ التَّحْلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
 الْكَفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخِثَرَاتِ وَالثَّوَرَةِ
 بَعْدَ الثَّوَرَاتِ إِنْ بُعِثْتُمْ إِلَى نُغُورِكُمْ غَلَّيْتُمْ وَخِثْتُمْ وَإِنْ
 أَمِيتُمْ أَرْجَيْتُمْ وَإِنْ خِثْتُمْ نَاقَتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً وَلَا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَحْفَكَ نَاكِثٌ أَوْ

اسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ أَوْ اسْتَغْرِكُمْ غَاصٍ أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ
 أَوْ اسْتَعْضَدَكُمْ خَالِجٌ إِلَّا وَتَقْتُمُوهُ وَأَوْيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ
 وَتَصَرَّيْتُمُوهُ وَرَضَيْتُمُوهُ وَأَرْضَيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ
 شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ
 إِلَّا كُنتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ
 الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزْجُرْكُمْ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا
 لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدَرَ وَيَبَاعِدُ
 عَنْهَا النَّجَرَ وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَطَرِ وَبِحِمِيهَا مِنَ الصَّبَابِ
 وَبِحُرْسِهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمْ أَلْحِيَّةُ وَالرِّدَاءُ
 وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعنة بن أبي شفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَابَتِنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ
 الرَّمَاكِ وَطُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسِغُهُ
 حُلُوفُكُمْ وَأَقْدَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهِمَا جُفُونُكُمْ
 أَفَحِينَ اسْتَدَّتْ عَرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ
 الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ بِالْخُلَيْفَةِ وَأَرْدَنْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ
 وَخَضَعْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثُ

فَارْتَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّخْبِيرِ السَّارِعِ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَعَلِمُوا
 أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَيْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلَحُوا لَنَا مَا
 ظَهَرَ وَنَكَلِكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنَ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 أَنْتَوَكِّلُ بِهِ أَسْتَعِينُ

وله ايضا

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أُنُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ الْأَمِّ أَعْيُنٍ إِنَّهَا قَلِمْتُ
 أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِيَّ إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذَا
 كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى
 الْوَلَاةِ وَالْتِنِصَّ لِلْسَّلَفِ فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَانَ عَلَى ظُهُورِكُمْ
 بَطُونِ السَّيَاطِ فَإِنْ حَسَبْتُمْ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَبْجُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ
 وَلَا أُوَسِّسُكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْمُحْسَنِ إِنْ صِرْتُمْ إِلَى إِلَهِي هِيَ
 أَبْرُ وَأَتَى

وَيُنَسَّبُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ وَائِلٍ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ

فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَعْدَانُكُمْ فِيهَا حَبِيبُكُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلاَ حِسَابٍ! وَغَدًا حِسَابٌ بِلاَ عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكُ! وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدَّ مُوَابَعَضًا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَدْرِكُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا



فصل

في النِّمِّ وَالنَّطِيعَةِ

كتب ابو الفضل بن العبد الى ابي عبدالله الطبري

وَصَلِّ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنْ
عَنْتِ الْفِرَاقِ وَوَأَقَنِي مُسْتَرْجِعَ الْأَعْضَاءِ وَالْحُجُومِ مِنْ
جَوَى الْأَسْتِيَاكِ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْهَالُوفِ فِي
تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ
الْأَشْكَالِ وَأَعْنَقَنِي مِنْ مَخَالِكَ إِعْنَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَا
وَأَبْرَأَنِي مِنْ عَهْدَتِكَ بِرَأْءَةٍ لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرْكًا وَلَا
أَسْتِثْنَاءَ وَنَزَعَ مِنْ عُنِّي رِبْقَةَ الذِّلِّ فِي إِخَانِكَ بِيَدَي

جَفَانِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ
 الشُّوقِ بِالسُّلُوِّ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنْ
 الْوَجْدِ مَاءَ الْيَاسِ وَنَمَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَا مَ فُطُورِي
 بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَازَ كَيْدِي فَلَا مَ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
 الْعِزَاءِ وَتَغْلَغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ
 إِلَيْكَ نُرُوعًا عَنْكَ وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
 وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَلْفَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي
 وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
 حَذَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
 فَأَذْهَبَ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَكَدْتُ إِلَيْكَ
 ذِمَّ عَهْدِكَ

وله الله ايضاً من رسالة

وَهَبْنِي سَكْتٌ لِدَعْوَاكَ سَكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيْتُ رَضَى
 مُسَخِّطٍ أَيْرَضَى الْفَضْلَ أَجْذَابَكَ بِأَهْدَايِهِ مِنْ يَدَيِ أَهْلِيهِ
 وَأَصْحَابِيهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاحِمْ خُطَابَةً حَتَّى أَنْشَدَكَ
 لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ بِخَطْبِهَا ضُرُجٌ مَا أَتَفُّ خَاطِبٍ يَدْمُ
 وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلِيٍّ تَصَدَّدْتَ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَوَجَّحْتَ

بِالثَرَيَا وَتَقَلَّدَتْ فِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمَنَّطَتْ بِمَنْطَقَةِ الْحُجُورَاءِ
وَتَوَشَّحَتْ بِالْحَجَرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرَتْ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجَتْ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غَفْلًا لَا سِمَامَ مَعَ فَلَّةٍ وَفَائِكَ وَضَعِفَ إِخَائِكَ
وِظْلَمَ مَا بُصِرَ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَكَمُ الدُّحَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدِمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي أَهْدَاكَ وَتَصَفَّحِي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي أَخْيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيضِ مَا أَسَسْتُهُ
فَإِنَّ الْوَدَادَ غَرَسَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَاءَ رَوِيًّا لَمْ
يُزَجْ زَكَاؤُهُ وَلَمْ يَجِرْ مَأْوُهُ وَلَمْ تَنْتَفِعْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجْنِ
ثِمَارُهُ وَلَبِثَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكْتُ الضَّلَالَ فَيَا دِي حَتَّى
أَسْكَلَ عَلَيَّ مَا يَجْنَا حُ إِلَيْهِ الْمُنْمَارِ جَانِ وَلَا يَسْتَفْنِي عَنْهُ
الْمُنَائِلَانِ وَهِيَ مُهَارِجَةٌ طَبَعٍ وَمُوَافِقَةٌ شَكْلٍ وَخَلْقٍ
وَمُطَابَقَةٌ خِيمٍ وَخَلْقٍ وَمَا وَصَلْنَا حَالَ جَمْعَتَنَا عَلَى أَثِلَافٍ
وَحَمْنَتَانِ مِنْ أَخِلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرْفِ ضِدَيْنِ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَتْ الْأَمْرُ وَجَدْتُ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبَعَادِ أَكْثَرُ مَا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالْجَادِ وَأَبْعَدُ

مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرُ مَا بَيْنَنَا مِنَ النَّفَارِ أَكْثَرَ
مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ

وكتبه أبو الفضل بديع الزمان الممنا في من رسالة إلى أبي نصر
ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أَتَنَنِي لِلْكِتَابِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ
الرِّزْقِ وَيَهْدِ لَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوْطِّئَهُمْ أَعْرَافَ
الْعَبْدِ وَيُوْثِقَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرَكِّبَهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ
وَفُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُبَيِّلَهُمْ فَوْقَ
الْكِفَايَةِ وَلَا يَهْدِ لَهُمْ فِي حَبْلِ الرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْغُونَ
لِلنِّعَةِ يَنَالُونَهَا وَالْدَّرَجَةَ يَعْلوْنَهَا وَسَرَّعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ
عَالٍ بِمَا يَنْظُمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُسَيِّمُ
أَيَّامُ الدُّنْيَةِ أَوْقَاتَ الْخُشُوعَةِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتِ
الصَّعُوبَةِ وَلِلْكِتَابِ مَزِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي
الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا اتَّظَمَ السَّبْطُ وَفِي الْعَزَلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا
أَنْفَرَجَ الْمُسْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ الْحَدُّ لَحْظَةً حَقِيقًا بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ
أَوْصَلَ جِعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرٌ وَدُهُمُ خَرَابًا وَيَتَقَلَّبُ شَرَابٌ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أَسِيلَتْ سُبُورُهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَّتْ بُدُورُهُمْ وَلَا انْتَسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أَوْفَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا تَقَصَّ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْبِيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أَنْوْفُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسَنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا فَجَحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا اقْصُرَتْ أَيَْادِيهِمْ وَقُصَارَى أَحَدِهِمْ
مِنَ الْعَجْدَانِ لَا يُخْرِجُ مَالَهُ مِنْ عَهْدَةِ خَاتِمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْقَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالدَّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فصل

في الدعاء

قال أعرابي

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْلِدْ بَارِدٌ وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَالصَّحْفُ مَنْشُورَةٌ وَالْأَفْلَامُ جَارِيَةٌ وَالتَّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنْ الْفِرَاقِ وَحَشَلُ
النَّفْسِ وَعَلَزَ الصَّدْرُ وَتَزَلُّ الْأَوْصَالِ وَتُصُولِ
الشَّعْرِ وَاجْتِيَافِ التُّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ
وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْهَبْرِ وَغُمَّتِهِ وَعَلَى الْهَيْزَانِ وَخَفْنِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا أَفْتَرَضْتُ
عَلَيَّ وَلَمْ أُوَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكْتُ
عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا أُنْزِلَتْهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أُذْكَرَتْهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِي
قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا لَا فَاحِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا

أَحْسِنُوا أَرْكَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللَّهُمَّ لَا تَحْقِقْ
 عَلَيَّ الْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
 عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
 ضَعِيفٌ وَمُتَّهُ عَاجِزَةٌ قَدْ أَنْتَهتْ عِدَّتُهُ وَخَلَّتْ جِدَّتُهُ
 وَتَمَّ ظِمْمُوهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
 أَدْعُوكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ وَإِسَاقَةِ الرِّيقِ
 وَتَأْخِرِ الشَّدَائِدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَلَى
 عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي قَتِيلَهُ وَلَا
 يَخَيِّبُ سَائِلَهُ وَلَا يُرْدُّ رَسُولَهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقَرَارِ
 إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِيلِ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
 أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
 شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَغُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ
 النِّعْمَةِ

وقال أعرابي غيره

اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتَغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوَمِّ
 وَإِنْ تَرَكِي الْإِسْتِغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ كَعَجْزِ الْإِلَهِ
 كَمْ تَحَيَّيْتُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا
وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ
إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ فَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ

فصل

في القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا وَقَدَدْتُكَ سَرِيْعًا
وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَمَلَيْنِ مَدَّةُ النَّدْبِ بَعِيشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ
بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ وَالنَّسَمِ مِنْ طِيبِ
رَوَائِحِهَا تَحْتَ طِبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا. وَرُفَاتًا سَحِيْقًا
وَصَعِيْدًا جُرْزًا أَنِي بَنِيَّ لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ
الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْإِلَى وَرَمْتَنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَنِي
بَنِيَّ لَقَدْ أَسْنَرَلِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَنِي

رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْحُجُودُ وَهَبْنِي لِي فُرَّةَ عَيْنٍ
 فَلَمْ تُنْعِنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
 وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ
 اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِرْ وَحْشَتَهُ وَأَسْرُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
 تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ وَالسَّوَاتُ أَيُّ بَنِي إِبْنِي قَدْ تَزَوَّدْتُ
 لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ
 مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيُّ
 بَنِي أَسْتَوْدَعُكَ مَنْ أَسْتَوْدَعِيكَ فِي أَحْسَائِي جَنِينًا
 وَتُكُلَ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
 مَصَاجِمِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَّ أُنْسِهِنَّ
 وَأَشَدَّ وَحْشَتِهِنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
 الْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاحنف بن قيس

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ مَحَبٍّ فِي جُنِّ وَمُدْرَجٌ فِي كَفَنٍ نَسَّالُ
 الَّذِي فَجَعْنَا بِمَوْنِكَ وَأَهْلَانَا بِقَدِّكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
 الْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي
 قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي

الْحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ
 مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوفِدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا وَمِتَّ سَعِيدًا
 مَفْقُودًا

وقال حيّان بن سلى على قبر عامر بن الطفيل

إِنَّمَا ظِلَامًا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشْنُ الْغَارَةَ وَتَحْيِي
 الْحَجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيئًا بِوَعْدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ
 حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ
 حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَظُنُّ نَفْسُ
 بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتَمَةٌ

في الوصف

فَقَرَّ جَارِيَةٌ عَلَى السِّنَةِ الْبُلْغَاءِ فِي صِفَاتِ شَيْءٍ

في وصف البلدان

بِلْدَةٌ كَأَنَّهَا صُورَةُ جَنَّةٍ أُخْلِدَتْ مَنقُوشَةً فِي عُرْضِ الْأَرْضِ *
 بِلْدَةٌ كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا *
 بِلْدَةٌ تَرَاهَا عَنَبٌ وَحَصْبًا وَهَآءُ عَقِيقٌ وَهَآءُ نَاسِيمٌ وَمَآءُهَا
 رَحِيقٌ * بِلْدَةٌ مَعْشُوقَةُ السُّكْنَى رَحْبَةُ الْمَشْوَى كَوَكْبِهَا
 يَقْظَانُ وَجُوهَهَا عُرْيَانٌ يَوْمَهَا غَدَاةٌ وَلَيْلَهَا سَحَرٌ * بِلْدَةٌ
 وَاسِعَةُ الرُّقْعَةِ طَيِّبَةُ الْبُتْعَةِ وَاسِطَةُ الْبِلَادِ وَسْرَتُهَا وَوَجْهُهَا
 وَغُرَّتُهَا

في وصف الفلاع

قَلْعَةٌ حَلَّتْ بِأَنْجُو تَنَاحِي السَّهَاءِ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ
 تَسُوحُ بِالْغُيُومِ وَتَجْنَلِي الْعُيُومِ * قَلْعَةٌ مَتْنَاهِيَّةٌ فِي الْخَصَانَةِ
 مُمْتَنِعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْبِقِ
 الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا يَامُ إِلَّا نُبُو

أَعْطَافٍ وَأَسْنِصَابَ جَوَائِبَ وَأَطْرَافٍ قَدْ مَلَّ الْمُلُوكُ
حَصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَمِتٍ
أُحْيِوشُ ظِلِّهَا فَعَادَرَتْهَا بَعْدَ فَنُوطٍ وَيَاسٍ فَمَيَّ حَتَّى لَا
يُرَاعَ وَمَعْنَلٍ لَا يُسْتَطَاعُ كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَالَحَتْهَا عَلَى الْإِعْفَاءِ
مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْبِلَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ فَرَارٍ تُوسِعُ الْعَيْنَ فُرَّةً وَالنَّفْسَ مَسَرَّةً كَأَنَّ
بَانِيَهَا أَسْتَسَلَفَ أَلْحَنَةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ * دَارُ نَجْلِ مِنْهَا الدُّورُ
وَتَنَقَّصَرُ عَنْهَا الْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ
أَنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارُ قَدِ اقْتَرَنَ الْيَمَنُ بِبَيْنَاهَا
وَالْيُسْرُ بِسُرَاهَا أَلْجُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَالْعَبُونُ عَلَى
سَفَرٍ * دَارُ دَارٍ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَقَارُ بِالْحُسْنِ سَهْمُهَا
بِخْدَمِهَا الدَّهْرُ وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ وَيَكْنُهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْجِعُ
النَّوَاطِرِ وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدْوَانَ الْحَيَاتِ
وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبَرِيِّ الْحِسَانِ

في وصف الديار الخالية

دَارُ كَيْسَتِ الْبَلَى وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَلَى صَارَتْ مِنْ

أَهْلَهَا خَالِيَةً بَعْدَ مَا كَانَتْ بَيْنَ خَالِيَةٍ قَدْ أَنْفَدَ الْيَزِيدُ سُكَّانَهَا
وَأَقْعَدَ حَيْطَانَهَا * دَارُ شَاهِدِ الْيَاسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ
الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمُرَانَهَا يُطَوِّى وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَرْكَانُهَا قِيَامٌ وَقُعُودٌ وَحَيْطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ
بَكَتْ دَارُهَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ

دُمُوعِي فَأَيَّ أَمْجَارِ عَيْنِ الْيَوْمِ
أَمْسَعِبِرًا يَبْكِي عَلَى اللَّهِ وَاللَّيْلِ
أَمْ الْآخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فِيهِمْ

في وصف أيام الربيع

يَوْمٌ جَلَالِيْبُ غُيُومِهِ رَوَاقٌ وَأَزْدِيَّةُ نَسِيمِهِ رَفَاقٌ *
يَوْمٌ سَمَاوُهُ فَاخِيَّةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مُمَسِّكُ السَّمَاءِ
مُعَصِفُ الْهَوَاءِ مُعَبِّرُ الرُّوضِ مُصْنَدِلُ الْمَاءِ * يَوْمٌ
تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوضُ الْمَرِيعُ * يَوْمٌ كَانَتْ
سَمَاوُهُ مُحْدِثًا تَبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ تُنْجَلِي * يَوْمٌ دَجَنُ
عَاكِفٍ وَقَطْرُهُ وَاكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَفَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ

الْمُنْظَمَةِ عَلَى الْبُرُودِ الْمُنْمَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفَتْ
 الْمَطَرِ وَدَجَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى * رِيَاضٌ كَالْعُرَائِسِ فِي
 حَلِيهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا بِاسِطَةٌ
 زَرَابِيهَا وَأَنْمَاطُهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطُهَا زَاهِيَةٌ
 بِجَهْرَائِهَا وَصَفَرَائِهَا نَائِمَةٌ بِعِيدَانِهَا وَغُذْرَانِهَا كَأَنَّمَا
 أَحْفَلْتُ لَوْفِي أَوْ هِيَ مِنْ حَيْبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ
 تَصَوَّعَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظِلِّ
 الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَاحِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا
 وَتَعَارَضَتْ بِغُرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
 مُحْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقِرَةٌ بِالْثِمَارِ * أَشْجَارٌ كَأَنَّ
 الْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَقَهَا عُقُودَهَا *
 شَفَائِقُ كَتِيبَانِ الْعَفِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّمَا أَصْدَاغُ
 الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرَوَّدَةِ * كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
 عَفِيقٍ أَحْمَرٍ مِلَّتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكِ أَذْفَرٍ * الْأَرْضُ
 زُمُرَدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ *
 قَدْ غَرَدَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر
 لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ
 لَهَا أُسْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَخْلُلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ ثَابِتٌ
 الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْغَوَارِبِ طَامِحُ الْأَمْوَاجِ وَإِنِّي الذَّوَائِبِ *
 بَاتَ بِلَيْلَةٍ سَاوَرَتْهُ فِيهَا الْهُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَانْتَحَلَّ
 السَّهَادُ وَافْتَرَشَ الْقَتَادُ * انْتَحَلَّ بِمَاءِ السَّهْرِ وَتَمَلَّلَ عَلَى
 فِرَاشِ الْفِكْرِ * قَدْ أَقْضَى مَهَادُهُ وَقَلَقَ وَسَادُهُ * هُمُومٌ
 تَفَرِّقُ بَيْنَ التَّجَنُّبِ وَالْمِهَادِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالسَّهَادِ

في وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وإفول النجوم
 قَدْ انْتَحَلَّ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عُمْرَ اللَّيْلِ وَأَسْتَغْرِقْنَا
 شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ يَنْبِثُ النَّسِيمُ بِالسَّحْرِ *
 قَدْ انْكَشَفَ غِطَاءُ اللَّيْلِ وَسُتِرَ الدُّجَى * هَرِمَ اللَّيْلُ وَشَمِطَتْ
 ذَوَائِبُهُ * فَوَضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأَفُقُ ثَوْبَ الدُّجَى *
 تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْفِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ
 أَفْقِهِ * إِفْتَنَصَ بَازِي الضُّوءِ غُرَابُ الظَّلَامِ وَقَضَّ كَافُورُ
 النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مِسْكَ الْخِتَامِ * طُرِزَ قَبِصُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ
 الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحُ بِسِرِّهِ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نَقَابَهُ * بَثَّ الصُّبْحُ طَلَاثَةً * تَبَرَّعَ اللَّيْلُ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ *
 أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ * عَزَلَتْ نَوَافِحُ اللَّيْلِ
 بِجَمَامَاتِ الْكَافُورِ وَأَنْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ *
 مَالَتْ الْحُجُوزُ آءَ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ وَتَنَاقَرَتْ
 عُمُودُ النُّجُومِ * وَهِيَ نِطَاقُ الْحُجُوزِ آءَ وَأَنْطَفَأَ فِدْبِلُ الثُّرَيَّا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار وانتصافه
 وابتدأته وانتهائه

بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ * أَقَلَّتِ الْغَزَالَةُ لِعَابَهَا وَصَرَبَتْ
 الْأَضْحَى أَطْنَابَهَا * إِنْتَشَرَ جَنَاحُ الضُّوْءِ فِي أَفْقِ الْحُجُورِ *
 إِسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ * عَلَا رَوْنَقُ الْأَضْحَى * بَلَغَتْ الشَّمْسُ
 كَيْدَ السَّمَاءِ * قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَهْرَاتِ
 الظُّهْرِ * إِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ
 يَلْمَعُ فِي قَرَارِ الْمَاءِ * نَفَضَتْ نَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
 رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَّتِ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَّكَتْ
 دَلُوحُ وَأَغْبَرَتْ لَوْحُ اللَّوْحِ * نَصَوَبَتْ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ *
 تَضَيَّعَتْ لِلْغُرُوبِ فَأَذِنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ * شَابَ النَّهَارُ
 وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ * إِسْتَرَّ وَجْهُ الشَّمْسِ بِالنِّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِأَلْحَبَابِ * كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَقِ
إِلَى مَجْمَعِ الْفَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

فَامْ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ أَرْجَزَتْ
رُعُودَهَا وَذَهَبَتْ بِرُوفِهَا بُرُودَهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ
وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالْرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِسْمَ الْبَرْقِ عَزَّ فَهَفَهُ الرَّعْدُ * زَارَتْ أَسْوَدُ الرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سَيُوفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتِ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ وَأَنْحَلَتْ
عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَّقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرَّبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَيْسَتْ السَّمَاءُ سِرًّا لَهَا وَسَجَّتِ السَّحَابُ أَذْيَالُهَا *
قَدْ أَخْجَيْتِ السَّمَاءَ فِي سُرَادِي الْغَيْمِ * لَيْسَ الْحُجُو مُطْرَفُهُ
الْأَدْكَنَ * بَاحَتْ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى * ضُرِبَتْ خِيَمَةُ
الْغَمَامِ * إِبْتَلَّ جَنَاحُ الْهَوَاءِ وَأَغْرُورِقَتْ مُقَلَّةُ السَّمَاءِ *
هَبَّتْ شَمَائِلُ الْأَجْنَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَمْلِ السَّحَابِ * نَأَلَتْ
أَشْنَاتُ الْغُيُومِ وَأُسْلِتِ السُّنُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبرد وإهام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَأَلْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ
بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَّمَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْبَاءِهِ *
قَدْ عَادَتْ أَتْحِبَالُ شَيْبَاً وَلَيْسَتْ مِنَ الثَّلُوجِ مُلَاءَ قَشِيْبَاً *
شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ بِتَرَائِكِ الثَّلُوجِ * أَلَمَّ الشَّيْبُ بِهَا
وَأَبْيَضَتْ لَيْمَهَا * بَرْدٌ يَنْقُضُ الْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ الْأَحْسَاءَ *
بَرْدٌ يَجْمِدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ وَالْدَّمْعَ فِي الْأَمَاقِ * يَوْمٌ
كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهْوَلِهِ * يَوْمٌ فَضِيَ الْجِلْبَابُ مِسْكِي
النِّقَابِ عُبُوسٌ قَمْطَرِيذٌ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ وَفَرَشَ
الْأَرْضَ بِالْقَوَارِيرِ * يَوْمٌ أَرْضُهُ كَالْقَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ
كَالزَّنَابِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَا مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَكَّى سَلَاسِلَ الْفِضَّةِ *
غَدِيرٌ تَرَفَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ
الرِّيَاحِ الْغَرَائِبِ * إِنْخَلَّ غَدُّ السَّمَاءِ وَأَنْهَلَ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ *
إِنْخَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْجَمْرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ
جِبَالًا وَتَهْدُ مِنَ الْأَمْطَارِ جِبَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ تَضْحَكُ مِنْ بُكَائِهَا الرُّؤُوسُ
وَتَخْضَرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَحْفُتُ جَفُونَهَا وَلَا
يَحْفُتُ أُنْيُنُهَا * دِيمَةٌ رَوَتْ أَدِيمَ الثَّرَى وَنَبِهَتْ عَيُونَ النُّورِ
مِنَ الْكَرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ
الْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقُرْبِ

في وصف النبط وشدة الحر

حَرٌّ يُشْبِي قَلْبَ الصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاعَ الضَّبِّ * قُوَى
سُلْطَانِ الْحَرِّ وَبَسْطُ بَسَاطِ الْجَمْرِ * أَوْقَدَتِ الشَّمْسُ
نَارَهَا وَأَذْكَمَتْ أَوَارَهَا * حَرٌّ يُلْغِي حُرَّ الْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ إِذَا اسْتَعْلَتَ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ *
هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ الْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرُبُ
لَهُ الْحَرُّ بَاءً مِنَ الشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانَ
وَرَكِبَتْ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ * حَرٌّ يُنْضِجُ الْجُلُودَ وَيُذِيبُ
الْجُلُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ أَمْدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ
أَسْدَادًا * هَاجِرَةٌ كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ يَجْرُ أَذْيَالُ السَّمَاءِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنٍ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ *

أَقْمَرُ لَيْلُ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَمَرِ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي
 لَيْلِ الشَّعْرِ * رُمِيَ فَاحِمُ الْفُودِ بِضِدِّهِ وَاشْتَعَلَ الْمُبِیْضُ
 فِي مُسَوْدِهِ * لَمَعَ ضَوْؤُهُ فَرَعِهِ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ * عَلَاهُ
 غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ * بَيْنَاهُ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْظُهُ
 صُبْحُ الْمَشِيبِ * طَوَى مَرَا حِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عُبْرَهُ بِغَيْرِ
 حِسَابِ * جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَا حِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ
 مَنَاهِلَ * فَلَّ الدَّهْرُ شَبَابَهُ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَايِهِ * طَارَ
 غُرَابُ شَبَابِهِ * انْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَتْرَابُهُ * اسْتَبَدَلَ
 بِالْأَذْهِمِ الْأَبْلَقَ وَبِالْغُرَابِ الْعَفْعَقَ * اسْتَعَاذَ مِنَ
 الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ * أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أَهْبَةُ
 الْكِبَرِ * نَفَضَ جَبَّةَ الصَّبِيِّ وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ الْحُجِيِّ * الشَّيْبُ
 زُبْدَةٌ مَخْضَتَهَا الْأَيَّامُ وَفِضَةٌ مَحْصَتَهَا التَّجَارِبُ * سَرَى فِي
 طَرِيقِ الرُّشْدِ بِصَبَاحِ الشَّيْبِ * الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَّةِ *
 الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ

في وصف آلات الكتابة

الدَّوَاءُ مِنَ أَنْفَعِ الْأَدْوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عَنَادٌ وَلِلْخَاطِرِ
 زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرُدُّهُ غَيْرُ الْأَنْهَامِ وَلَا يُنْمَعُ بِغَيْرِ أَرْشِيَةٍ

الْأَفْلَامُ * غَدِيرُ تَفِيضٍ يَبَيعُ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْطَارِهِ وَتَنْشَأُ
 سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ * مِدَادُ كَسَوَادِ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءُ
 الْقَلْبِ وَجَنَاحِ الْغُرَابِ وَلُعَابِ اللَّيْلِ وَالْوَانِ دُهُمُ الْخَيْلِ *
 مِدَادُ نَاسَبَ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأَسْتَعَارَ لَوْنَهُ مِنْ شَرْخِ
 الشَّيَابِ * أَفْلَامُ جَمَّةِ الْعَمَاسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعِينَ *
 أَنَابِيْبُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ
 فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتْ الْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا * أَفْلَامُ كَانَهَا
 الْأَمِيَالُ أَسْنَوَاءُ وَالْأَجَالُ مَضَاءُ بِطَيْئَةِ الْحَفَى قُوَّةُ الْفُؤَى *
 فَلَمْ لَا يَبْنُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ وَلَا يَجْجِمُ إِذَا أُحْجِمَتْ
 الرِّمَاحُ * فَلَمْ يَسْكُتْ وَافِقًا وَيَنْطِقُ سَاكِئًا

في وصف الخطباء

جَلَوْا بِكَلَامِهِمِ الْأَبْصَارَ الْعَلِيلَةَ وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمِ
 الْأَذْهَانَ الْكَلِيلَةَ وَنَبِهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَقَدَتِهَا وَتَقْلُوهَا عَنْ
 سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَّوْا مِنْ كَاءِ الْقَسْوَةِ وَغَبَاوَةِ الْغَفْلَةِ وَدَاوُوا
 مِنَ الْعِيِ الْفَاضِحِ وَتَهَجُّوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا
 تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَمِيهِ لُكْنَةٌ وَلَا تَتَمَشَّى فِي خَطَايِهِ رُتَّةٌ وَلَا
 تَخْفِفُ بَيَانُهُ عَجْمَةٌ وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةٌ * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفْسَاتِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ
 تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ الْفَاطِيهِ عُقُودُ الْمَلْحِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ
 لَفْظُهُ عَطَّلَ الْبَاقُونَ وَالْدُرُّ * خَطِيبٌ مِصْنَعٌ يَنْتَرُ لِسَانُهُ
 اللُّوْلُوَ الْمَكْنُونُ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْنَعُ الَّذِي أَشْخَصَ
 بِأَيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عِيُونَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ
 الْمِصْنَعُ الَّذِي تَلَاعَبَ بِالْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدُّرُّ مِنْ
 لَفْظٍ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَقَادُ إِلَيْهِ
 كَلِمَاتُ السِّحْرِ مُتَسَابِقَةً آخِذًا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدْرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطْرُهَا الْغَادِي وَالرَّائِحُ وَنَبِيرُهَا
 الَّذِي لَا يُزْحَمُ وَنَبِيرُهَا الَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا الْأَسْحَمُ * أَمَّا
 فَنُونَ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُو جَمَلَتِهَا وَأَبُو عُذْرَتِهَا
 وَمَالِكُ أَرْمَنِهَا * نُسَخَّرُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بُجُورِهِ وَتَحْلَى لَبَاتُ
 الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ * تَأْكِفُهُ غُرُرُ مَنِيرَاتٍ أَضَاءَتْ
 فِي وَجْهِهِ دَهْمُ الْمُسْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَثَاتُ السِّحْرِ *
 تَأْكِفُهُ عَقَائِلُ أَصْحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِيهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتِ
 الْأَعْطَافِ * بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّاحِرُ * شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدِهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تُشَدُّ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ
 سُورِدُ اللَّفَّةِ وَالْأَعْرَابِ * مَا لِكَ أَعْنَةِ الْعُلُومِ وَنَاهِجُ
 طَرِيقِهَا وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْبِيهِهَا النَّظِيمُ لِعُقُودِهَا
 الْأَرَاغِمُ لِبُرُودِهَا الْعَحِيدُ لِإِرْهَافِهَا الْعَالِمُ بِجِلَافِهَا وَزِفَافِهَا *
 مَلِكُ رِقِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفِ فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ
 كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَنْجُرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ
 مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفَرَقِ
 أَطْلَاعِهِ وَغَزَاةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرِكْ مَعْنَى مُغْلَقًا
 إِلَّا فُتِحَ صِيَاصِيهِ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيهِ

في وصف البلغاء

فَلَا نَ بَحْوِكَ الْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي وَبَحِيطُ
 الْأَلْفَاظِ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي * بَحْنِي مِنْ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا
 وَمِنْ الْمَعَانِي نِهَاةَهَا * يَغْبِثُ بِالْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِاللِّينِ
 زِمَامٌ حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ نَعْمَاسِدُ فِي التَّسَابُحِ إِلَى خَوَاطِرِهِ
 وَالْمَعَانِي تَغَايِرُ فِي الْأَشْبَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ * بَلِيغٌ نَسَقَ مِنْ
 جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَا لِمَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِيغٌ نَفَكَ
 سِهَامُ أَفْكَارِهِ الزَّرْدَ * نَازِمٌ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدِ زِمَامِ

الْبَرَاةِ * إِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنْ
الْبَلَاغَةِ الْعِفَالِ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ أَضَاءَ ظَلَامَ
الْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَفَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ

في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْدِفُ حَصَى الْفَرِيضِ وَجَارِهِ وَمَطْلَعُ شُهُوسِهِ وَأَقْمَارِهِ *
نَثْرُهُ سِحْرُ الْيَمَانِ وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجُمَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ
الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ وَتَغَبَّرَتْ بِنَائِعِهَا مِنْ خِلَالِ
آثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَمَرَاتُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَّائِسُ
أَفْكَارِهِ صِبَاحُ * إِنْ نَثَرَ فَالْجُودُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ
فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا * أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كَلِمَةُ *
إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ أَصَحَّ انْتِسَابِ وَنَسَقَ الْمُعْجَزَاتِ
نَسَقَ حِسَابِ وَأَرَى الْبَدَائِعَ بِيضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ *
إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يَزْخَرُ * إِذَا نَظَّمَ أَرَى بَنَظْمَ الْعُقُودِ
وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَفْمِ الْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ
بَيَانًا وَأَرَى السِّحْرَ عِمَانًا * هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي نَحْسُدُ أَرْقَامُ
الطَّرَازِ سَطُورَ قَلَمِهِ وَيَبُودُ التَّبَرُّكُ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ * هُوَ
الْكَاتِبُ الَّذِي تَتَفَادُ إِلَى بَرَاةِ دَفَائِقِ الْمَعَانِي صَاغِرَةً

بِزِمَامٍ * نَثَرَ كَثْرَ الْوَرْدِ وَنَظَّمَ كَظْمَ الْعِنْدِ * نَثَرَ كَأَسْحَرِ
 أَوْ أَدَقَّ وَنَظَّمَ كَأَلْمَاءٍ أَوْ أَرَقَّ * نَثَرَ كَمَا تَفْغَى الزَّهْرُ
 وَنَظَّمَ كَمَا تَنْفَسُ السَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضَحُّكَ عَنْ غُرِّ وَزَهْرِ
 وَقَصِيدَةٌ تَطْوِي عَلَى حَبَرٍ وَدُرِّ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
 السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهْرِ * كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِ
 الْأَعْيَادِ وَمَوْقِعُهُ مَوْجُ نَيْلِ الْمُرَادِ * كِتَابٌ حَسْبُهُ يَطِيرُ
 مِنْ يَدَيِ الْخَفْنَةِ وَيَلْطَفُ عَنْ حِسِّي لِقْلَنِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتْ
 الْحَاسِنُ تَحْتَ رَقٍّ مَشُورَهَا وَصَدَحَتْ حِمَائِمُ الْبَلَاغَةِ عَلَى
 أَغْصَانِ سَطُورِهَا * صَحَائِفُ تُنَوِّبُ عَنِ الصَّفَائِحِ وَقَرَّاطِيسُ
 تَزُفُّ إِلَى الْأَسْمَاعِ عَرَائِسَ الْفَرَاحِ * صَحَائِفُ الْبَسْمَا
 الْحَبَرِ أَنْوَابًا مِنَ الْحَبَرِ وَدَجَّجَهَا صَوْبُ الْفِكْرِ لَا صَوْبُ الْمَطَرِ

في وصف الامراء والاشراف

فَلَانٌ مِنْ شَرَفِ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ
 الصَّبِيمِ * أَصْلٌ رَاسِخٌ وَفَرْعٌ شَاحِخٌ وَمَجْدٌ بَادِخٌ * قَدَرَكَبَ
 اللَّهُ دَوْحَهُ فِي فَرَارَةِ الْعَبْدِ وَغَرَسَ نَبْعَهُ فِي مَنَبِتِ الْفَضْلِ *
 الْعَبْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ وَالشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةُ
 رَسَبَ عِرْقُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَأَعْدَلَ

عَمُودُهَا وَفِيَّاتُ ظِلَالِهَا وَتَهْدَلَتْ ثِمَارُهَا وَتَفَرَّعَتْ
 أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرُ جَيْشِهِ الْهَمَمُ * دَوْحَةُ مُجْدِيهِ
 وَرَيْفَةُ الظِّلِّ وَرَيْفَةُ * أَمِيرُ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعِيدُ
 كُلَّ حُرٍّ * هُوَ غُرَّةُ الْجَمَالِ وَصُورَةُ الْكَمَالِ * عَقْدُ الْمَنَاصِبِ
 بِهِ تَصِيدُ * أَمِيرُ عَيْقَتِ مَنْ شَمَائِلِهِ نَسَمَاتُ النَّدَى وَقَطَرَتْ
 مِنْ سَلْسَبِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْعَبْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمَلِ
 الْفَضَائِلِ * نَازِحُ مَا أَثَرَتْ مِنْ عَقْدِ الْمَائِرِ * أَنْارَتْ بِهِ نُجُومُ
 الْمَعَالِي وَشُهُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بَادِحٌ يُعْقَدُ بِالْجُودِ ذَوَائِبُهُ *
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةَ مَقَالِيدُهَا وَمَلَكْنَهُ طَرِيفُهَا وَتَلِيدُهَا *
 أَمِيرُ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاءٍ وَتَحَدَّرَ مِنْ سُلَالَةِ أَكَابِرِ وَرُقَاةِ
 أَسْرَةٍ وَمَنَابِرِ * مُرْتَضِعُ نَدَى الْعَبْدِ وَمُقَرَّرُ حَجَرِ الْفَضْلِ *
 لَهُ صَدْرٌ تَضَيَّقُ بِهِ الدُّهْنَاءُ وَتَفَرَّعُ إِلَيْهِ الدُّهْمَاءُ * لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ *
 لَهُ صُورَةٌ تَسْنَطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْنِيعِ وَيَتَفَرَّقُ فِيهَا مَاءُ
 الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبَشَرِ * يَنَابِيعُ الْجُودِ تَنْجُورُ مِنْ
 أَنْامِلِهِ وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَفْضَحُكَ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقُ
 خُلَّتْ مِنْ الْفَضْلِ وَشَيْمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْعَبْدِ * أَرْجَ

الزَّمانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِمَ النِّساءُ عَنِ الْإِتيانِ بِمِثْلِهِ * مَا لَهُ
لِلْعَفَاءِ مَبَاجٍ وَفَعَالُهُ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ مُصْبَاحٌ * مَنَاقِبُ
تَشْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ وَتَهْدِي أَنْبَاءَهَا وَفُودُ
الرِّيحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَكْتُ الْمِسْكَ فَتَيْقَا
أَوْ صَبَّحْتُ الرُّوضِ أَنْيَقَا * هُوَ رَأِئِشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةُ عَقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنَانِ النِّجْمِ
وَأَمْتَدَّ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ
الْفَرْدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنَكِبِ الْجُوزَاءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
مَوْضِعُ الْوَاسِطَةِ مِنَ الْعِنْدِ وَلَيْلَةُ النَّيْمِ مِنَ الشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ النُّجُومِ * هَطَلَتْ عَلَى سَحَابِ عَيْنَيْهِ وَرَفَرَتْ
حَوْلَ أَجْنَحَيْ رِعَايَتِهِ * قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى جُورِ الْأَيَّامِ
بِعَدْلِهِ وَاسْتَنْتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقَنِي نِعْمُهُ حَتَّى
اسْتَنْفَدْتُ شُكْرَ لِسَانِي وَيَدِي * تَتَابَعَتْ نِعْمُهُ تَتَابَعُ الْقَطْرِ
عَلَى الْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنْهُ تَرَادَفَ الْبُسْرِ إِلَى ذِي الْقَفْرِ *
لَهُ أَيَادٍ قَدْ عَمَّتِ الْأَفَاقَ وَطَوَّقَتْ الْأَعْنَاقَ * أَيَادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ وَاسْتَعْبَدَتْ لَهُ النَّحْرَ * مِنْ تَوَالَتْ تَوَالِي
الْقَطْرِ وَاتَّسَعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَأَثَلَتْ كَاهِلَ النَّحْرِ *

عِنْدِي فَلَا دَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ جَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى نُحُورِ
 الْأَيَّامِ وَجَلَوْنَهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطَوَّقُ
 فِي أَجَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادِي بُرْصُ لَهَا الشُّكْرُ وَبُخْتَمُ وَمِنْ
 يَدَيْهَا الذِّكْرُ وَبُخْتَمُ * أَيَادِي ثَقِيلُ الْكَاهِلِ وَمِنْ ثَعْبِ
 الْأَنَامِلِ * مِنْ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرٍ مِنْ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ
 الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعٍ مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْمَرْوَعِ *
 أَيَادِي لَا تُحْصَى أَوْ تُحْصَى مُحَاسِنُ النُّجُومِ وَمِنْ لَا تُحْصَرُ أَوْ
 تُحْصَرُ أَفْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
 الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْأَعْدَادَ

في وصف البكاء والمجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
 خَبَرَ عَزَّ عَلَى النُّفُوسِ مَسْمَعُهُ وَأَثَرَ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ *
 خَبَرَ تَسَنُّكَ لَهُ الْمَسَامِعُ وَتَرْتَجُّ بِهِ الْأَضَالِجُ * مُصَابُ
 فَضِّ عُقُودِ الدَّمُوعِ وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابُ
 أَذَابِ دُمُوعِ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّيْتُ سَحَابِ الدَّمُوعِ الْغِزَارِ
 وَأَسْنَدْتُ مَسَالِكُ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ * رَزَمْتُ نَكَاتِ الْقُلُوبِ
 وَجَرَحَهَا وَأَحْرَأْتُ الْأَكْبَادَ وَقَرَّحَهَا فَالْدُمُوعُ وَكَفَّةُ
 وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأَنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَا نَهَمُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ الْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
 سَوَى الْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ السَّمَاحَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
 الْحَاسِنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ الْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا *
 رَزَلَتْهُ الْأَحْشَاءُ مُحْتَرِفَةً وَالْأَجْفَانُ بِمَا عَاغَرَفَتْهُ وَالْدَّمْعُ
 وَاكِفٌ وَالْحَزَنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَقْوودًا وَمَا أَكْرَمَهُ
 مَوْجُودًا * إِنِّي لَا نُوحُ عَلَيْهِ نَوْحَ الْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ الْخُجُومِ
 الثَّوَابِ وَأَبْكِيهِ مَعَ الْمَعَالِي وَالْحَاسِنِ وَأُنْثِي عَلَيْهِ بَشَاءَ
 الْمَسَاعِي وَالْمَائِرِ * مَضَى وَالْحَاسِنُ تَبْكِيهِ وَالْمَنَاقِبُ
 تُعْزِي الْعُيُونَ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ وَمَأْنَسَ
 الْأَشْرَافِ وَمَنْجَعِ الرُّكْبِ وَمَقْصِدِ الْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
 نَزَاحِمِ الْمَوَاكِبِ نَحَاشِدُ الْمَاءِ وَمِنْ ضُجُجِ النِّدَاءِ وَالصَّهْلِ
 عَجِجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوْبِلِ * هَذِهِ الْمَكَارِمُ تَبْكِي شَجْوَهَا لِقَدْرِهِ
 وَتَلْبِسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هَذِهِ الْحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ
 نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِيهِ وَأَفْتَرَنْتَ مَصَائِبَهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواص الكتب

أَطَالَ اللَّهُ لِسِيْدِي الْبَقَاءَ كَطُولِ يَدِهِ بِالْعَطَاءِ وَمَدَّ
لَهُ فِي الْعُمُرِ كَأَمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى الْأَحْرِ وَأَدَامَ لَهُ الْمَوَاهِبَ
كَمَا أَفَاضَ بِهِ الرِّغَائِبَ وَحَرَمَ لَدَيْهِ الْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ
بِهِ السَّمَائِلَ * لَا زَالَتِ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِأَلْسِنَاءِ نَاطِقَةٍ وَالْقُلُوبُ
عَلَى مَوَدَّتِهِ مُطَاطِبَةٌ وَالشَّهَادَاتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةٌ *
أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْجَبِيلِ يُعْلِي مَعَالِمَهُ وَيُخَيِّ مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ
مَدَارِجَهُ وَيُسْمِرُ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْمَوَاهِبَ سَامِيَةً
الذَّوَائِبِ مُوفِيَةً عَلَى أُمْنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ *
وَاللَّهُ يُنَازِعُ لَهُ أَيَّامَ الْعِلَاءِ وَالْغِبَةِ وَالنَّمَاءِ وَالْبَسْطَةِ
لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ الْخِدْمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَتَكَرَّعَ أَصْنَافُ
الْحَشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ الرَّئِيسَ
الْمَصَائِبَ وَيُبْعِذُهُ مِنَ النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي لَا يُرَامُ * لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي

مَطَابَاهُ فِي أَمَانِيهِ وَأَمَالِهِ وَصَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ الْغَيْرِ عَنْ
إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمَهِيدَهُ وَبَسْطَنَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ وَمَا
بِأَيْدِي الْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَاذِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُكْتَنَفًا
مِنْ لَطَائِفِ اللَّهِ الْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ الْخَفِيَّةِ بِمَا
يُدْفَعُ عَنْ حُوزَتِهِ نَوَائِبَ الْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَبِ
الْمَكْرُوهِ نِهَآةَ الْعَبُوبِ

